كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

العلاقات الدولية فى الإسلام

سـلام .. أم صـدام

النصوص الدينية والدلالات التاريخية

دكتور

محمود عبده نورالديـن

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الثاني والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٣م)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله . تعالى :﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[الممتحنة : ٨-٩]

قال رسول الله . ﷺ . :[المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم]

الإمام أحمد : المسند ، رقم ٨٩٣١

والنسائى : السنن الكبرى ، رقم ١١٧٢٦ ، باب صفة المؤمن

قال الألبانى : حسن صحيح

قال برنارد لويس :

[لم تأمر النصوص الأساسية للإسلام فى أى موضع من مواضعها بالارهاب والقتل ، كما أنها لا تتناول فى أى منها القتل العشوائى لمن لا شأن لهم بالأمر]

برنارد لويس : الإسلام وأزمة العصر [The Crisis of Islam] ، ص٨٠

السـلام

مبـادئ ..وقـواعـد

الصـــــــــــدام

استثناءات .. وضـــرورات

أما حالات الصدام فقد فرضت على المسلمين ، فاضطروا إلى التعامل معها بناءً على مبادئ وحقوق إنسانية ، وعلى إقرار الإسلام – وأحيانا أمره . بذلك. وهذه الحالات هى :

- الدفاع عن النفس ورد العدوان .
- تبليغ الدعوة ، وحماية حرية العقيدة .
- تحرير الشعوب وإقامة العدل .

المقدمـــة

الإسلام هو منهج إلهي يحدد وينظم العلاقة بين الناس وخالقهم – سبحانه وتعالى – وفيما بينهم ، وأيضا علاقتهم بمفردات بيئتهم الأرضية والكونية .

وعلى ذلك فالعلاقات الدولية ، هي واحدة من أهم المحاور الرئيسية في الإسلام ، فمن خلالها يتم التعارف والتواصل ، ويحدث التفاعل والتكامل لإعمار الأرض الذي هو غاية خلق الإنسان الكبرى بعد عبادة الله ، أو هو إحدى صور عبادة الله سبحانه وتعالى .

والعلاقات الدولية في الإسلام متعددة المناحي متفرعة النواحي ، إلا أن أهم مناحيها وأبرز نواحيها هي تحديد مسار هذه العلاقة بين السلام والصدام .

وهذا النوع من العلاقات الدولية هو الأساس الذي تبني عليه ، وتجرى في إطاره ، باقي أنواع العلاقات الدولية ، ومن ثم جاءت أهميته القصوى وفائدته العظمي في العلاقات الدولية عامة . وهو ما صاغ عنوان هذه الدراسة ، وقنن وفصل في موضوعاتها ، وذلك من خلال أمرين يمكن أن تستوفي الدراسة رسالتها بهما :

الأمر الأول : وهو النصوص الدينية .

الأمر الأخر : وهو الدلالات التاريخية .

والأمر الأول : مثلته نصوص مصدرى الإسلام الأساسيين – القرآن والسنة – حيث تشكل هذه النصوص منهج الإسلام في هذه الموضوع .

والأمر الثانى: جسدته الوقائع التاريخية المختلفة والمتنوعة كدلائل على المنهج النظري الذي صاغته النصوص الدينية.

وجاء هذا في قسمى الدراسة :

- السلام : حيث وضع الإسلام مبادئ السلام ، وقننها وحث عليها وأمر بها

كذلك حدد قاعدة التعامل في العلاقات الدولية عامة ، وجاء أيضاً اجتهاد الفقهاء في تصنيف العلاقات الدولية جغرافيا ـ سلماً وحرباً .

- الصدام : حيث نظر له الإسلام من خلال عدة نصوص ، جاعلاً ذلك حالات استثنائية لظروف اضطرارية ، لها شروطها وضوابطها وأخلاقياتها ، وجاءت الوقائع التاريخية لتكون دلالات على ذلك على توالي الأزمنة وتباين الأمكنة.

وهذه الحالات الاستثنائية هي :

- الدفاع عن النفس ورد العدوان .
- الدعوة إلى الإسلام ومنح حرية العقيدة .
- تحرير الشعوب المستضعفة وإقامة العدل .

د . محمود عبده نور الدين

قسم التاريخ ـ كلية اللغة العربية بأسيوط

أسيوط : فى ذى الحجة ١٤٣٤هـ / سبتمبر ٢٠١٣م

مبادئ السلام فى الإسلام

بما أن الإسلام هو دين السلام ، وأن نبيه أُرسل رحمة للعالمين ، وليس فقط لمن آمن به ، فقد جاءت نصوصه وتعاليمه تترى تؤسس للسلام وتأمر به. وهذه النصوص تصوغ المبادئ العامة للسلام التى مثلت إطاراً وأساساً عاماً خلق الناس بمقتضاه ، من حيثية التنوع والاختلاف والتعاون والتسامح ... الخ ، وجعله الله أساساً لتعاملهم وإطاراً لتعاونهم ، على تباين عقائدهم وتمايز أجناسهم وأهم هذه المبادئ هى :

- **الاختلاف والتنوع** .

الاختلاف والتنوع أحد المبادئ العامة التى خلق الله الناس فى إطارها ، وهذا المبدأ يشمل صوراً عدة ؛ عرقية ولغوية ودينية ، وإرادة الله لخلق الناس فى هذا الإطار وجعله مساراً حياتياً وتاريخياً للناس جميعاً ، يلزم المؤمنين به – تعالى . من كل الأديان والأجناس التزام السلام مع الآخرين ، وفيما بينهم ، وإقرار طبيعة الاختلاف والتنوع فى التعايش والتعامل .

أ- الاختلاف والتنوع الجنسى .

كما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات : ١٣]

ب- الاختلاف والتنوع اللغوى .

كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ [الروم : ٢٢]

ج- الاختلاف والتنوع الدينى .

كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى

ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يونس : ٩٩- ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النحل : ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٣٥]

وقد شاء الله أن يجعل أنواعاً من خلقه مجبولين على طاعته مثل الملائكة لكن مشيئته فى البشر غير ذلك ، وهو الحكيم الخبير.

كذلك هناك التنوع المذهبى والرؤى الفردية داخل الدين الواحد ، لإراد الله - تعالى -بعدم قطعية الدلالة للكثير من نصوص الدين ، وفى هذا مجال فسيح لاجتهاد العقل وتدبره وإبداعه.

كذلك – بالأحرى- التنوع الفكرى فى المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية .....الخ.

يقول الشيخ القرضاوى : [وما دمنا قد أجزنا تعدد المذاهب فى الفقه ، يلزمنا أن نجيز تعد الأحزاب فى السياسة ، فما الأحزاب إلا مذاهب فى السياسة ، وما المذاهب إلا أحزاب فى الفقه] [١].

لذلك فإن الإسلام يرسى قاعدة المحاسبة للمختلفين ، فى أنها لله وحده ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج : ١٧]

[١] فقه الجهاد ، مكتبة وهبة- القاهرة – ط ٣ ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ج٢ ص ١٢٨٩.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الحج : ٦٨]

حتى الأنبياء الذين هم رسل الله ، لم يكلفوا بمحاسبة من عارضهم وأبى اعتناق رسالتهم ، واقتصر عملهم على كونهم مبشرين لمن أطاعهم ، ومنذرين لمن عصاهم ، فى كل المواضع التى ذكرت فى القرآن الكريم والتى تزيد على [٤٠] موضعاً .

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٨] ، و [الكهف : ٥٦] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٦]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يونس : ١٠٨]

- **وحدة البشر وأخوتهم** :

على الرغم من هذا التنوع والتعدد ، والاختلاف ، إلا أن ثمة إطاراً واحداً يجمع الإنسانية جمعاء ؛ فربهم وإلههم وملكهم وأحد "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ [الناس: ١-٣]

وأبوهم واحد : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١]

وأمهم أيضا واحدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات : ١٣]

وقد بين الرسول – ص . هذه الوحدة فى خطبة حجة الوداع ، فقال – ص- [يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا

فضل لعربى على عجمى ولا لعجمي على عربى إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم] [١].

وقد أثبت القرآن أن هناك أخوة دينية بين أهل الإيمان أو أهل الدين الواحد ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠]

وقَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

كما أثبت أن هناك أخوة قومية ووطنية ، كالتى أثبتها بين الرسل وأقوامهم المكذبين لهم "قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل : ٤٥]

والأخوة هنا قطعاً ليست دينية ، وإنما هى أخوة قومية ، ولهذا كان يبدأ لكل رسول من هؤلاء نداءه بقوله ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٩]

فلا غرو أن يكون هناك أخوة إنسانية آدمية بحكم الانتساب إلى آدم أبى البشر ، ومن هنا نودوا جميعاً بقوله تعالى : [يا بنى آدم] فى القرآن خمس مرات[٢].

- **الرحمة والتسامح** .

من أهم مبادئ الإسلام فى العلاقات الدولية ، والمحلية والأسرية ، وكل دوائر العلاقات والمعاملات صغيرة أو كبيرة ، الرحمة بالآخر والتسامح معه ، وهى

[١] الإمام أحمد : المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، رقم ٢٣٤٨٩ ، وإسناده صحيح.

[٢] د. يوسف القرضاوى : فقه الجهاد ، ج٢ ص ١٢٩١.

مبدأ إنسانى من طبيعة الفطرة السليمة ، إلا أنه فى الإسلام بلغ درجة لم يبلغها فى غيره من العقائد الأخرى من التأكيد عليه والإلزام به حتى مثل رسالة النبى – ص . عل سبيل الحصر والقصر كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وفى إطار التسامح والدفع بالتى هى أحسن والصفح عن المسئ ، وإبراز الإسلام بأبعاده الإنسانية والأخلاقية الفريدة ، والذى يعد قاعدة أساسية للسلام الدولى حال مقابلته بالنظائر وموازاته بالمثل.

فى هذا الإطار جاء الأمر الإلهى لنبيه ولأمته ، والحث أحيانا ، على نهج سلوك التسامح والصفح والدفع بالتى هى أحسن ، فى الكثير من نصوص قرآنه المجيد ، ومنها :

قوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

[المؤمنون : ٩٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت : ٣٤]

وقولـه تعـالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر : ٨٥]

وقوله تعالى ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الزخرف : ٨٨- ٨٩]

وقولـه تعـالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى : ٤٠]

وقوله تعالى ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

[الجاثية: ١٤: ١٥]

وفى إطار أمر النبى – ص . وحثه لأمته لإنتهاج هذا المبدأ فى علاقاتهم بالآخرين وفيما بينهم ، قال – ص . :

[الراحمون يرحمهم الرحمن ، أرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء] [١]

وقال – ص . : [من لا يرحم لا يرحم][٢].

وقال – ص . : [لا يرحم الله من لا يرحم الناس][٣].

وقال – ص . : [لا تنزع الرحمة إلا من شقى][٤].

قال ابن حجر تعليقاً على حديث [من لا يرحم لا يرحم] ، قال ابن بطَّال : فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق ، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم ، المملوك منها وغير المملوك ، ويدخل فى الرحمة التعاهد بالإطعام ، والسعى ، والتخفيف فى الحمل ، وترك التعدى بالضرب] [٥].

---

[١] أخرجه أبو داود : السنن ، رقم ٤٩٤١ ، واللفظ له ، والترمذى : السنن ، رقم ١٩٢٤ ، الألبانى: السلسلة الصحيحة ، رقم ٩٢٥.

[٢] البخارى : صحيح البخارى، مكتبة الصفا القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ ، كتاب الأدب ، رقم ٥٧٩٧ ، ٦٠١٣.

[٣] السابق ، كتاب التوحيد ، رقم ٧٣٧٦. ومسلم : الصحيح ، ٢٣١٩.

[٤] الإمام أحمد: المسند ، رقم ٨٠٠١ ، الترمذي : السنن ، رقم ١٩٢٣ ، وحسنه الألباني ، رقم ٤١٣٣ .

[٥] فتح البارى شرح صحيح البخارى، تحقيق أبى قتيبة محمد الفاريابى، دار طيبة، بدون بيانات أخرى ، ج ١٠ ص ٤٥٥ .

وكان النبي – ص . هو المثل الأعلى والنموذج الأسمي لتطبيق هذا المبدأ مع الأعداء ، وذلك من خلال الكثير من المواقف التى تجسد فيها هذا التطبيق ، وفيما يأتي بعض هذه المواقف :

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه . أنه قال : قيل يا رسول الله ، ادع على المشركين ، قال – ص– [إنى لم أبعث لعانا ، وإنما بعثت رحمة][١].

وعن عائشة – رضى الله عنها– أنها قالت للنبى – ص . : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ، قال – ص– [لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين] فقال النبى – ص . [بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا][٢].

وعن عبد الله ، قال : كأنى أنظر إلى رسول الله – ص . يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : [رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون] [٣].

- **السلام صفة للمسلم** .

---

[١] مسلم : صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العلمية– القاهرة– بدون تاريخ الطبع ، رقم ٢٥٩٩.

[٢] البخارى : الصحيح ، كتاب بدء الخلق ، رقم ٣٢٣١ ، ومسلم : الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، رقم ١٧٩٥.

[٣] مسلم : الصحيح ، رقم ١٧٩٢ ، وطرفه فى البخارى : الصحيح ، رقم ٣٤٧٧ ، ٦٩٢٩.

من الأمور التى تؤكد كون السلام هو منهج التعامل فى الإسلام ، على المستوى الدولى ، وما دونه ، كون السلام صفة المسلم ، والتى يعرف بها أحيانا كما جاء فى قول النبى – ص :

[المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم][1].

تكريم الإنسان .

ويعنى تكريم الله للإنسان عموماً –مسلم وغير مسلم– أن خالقه – تعالى– أراده مخلوقاً مكرما مميزاً بين مخلوقاته ، حيث خلقه فى أحسن صورة وأعده إعداداً مادياً ومعرفياً ، وسخر له الكثير من مخلوقاته؛ لأنه مكلف برسالة سامية هى عبادة خالقه وخلافته في أرضه وعلى ذلك استوجب هذا المخلوق أن يعيش فى سلام ويعامل بسلام.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٠]

وفى أطار هذا التكريم أسجد الله لهذا الإنسان [آدم] ملائكته ، سجود تكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٤]

وفى إطار هذا التكريم جاء الإعداد الإلهى لهذا الإنسان الذى سيكون خليفة لله فى أرضه والذى سيحمل تكليفه –تعالى. وكان هذا الإعداد على جانبيه :

[1] الإمام أحمد : المسند ، رقم ٨٩٣١ ، بإسناد صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه النسائى فى السنن الكبرى برقم ١١٧٢٦ ، كتاب الإيمان وشرائعه ، باب صفة المؤمن ، وغيرهما .

أ- الإعداد المادى : كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤]

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار : ٦- ٨]

ب-الإعداد المعرفى : كما فى قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة : ٣١]

وقولـــــه تعـــــالى : [﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن : ١-٤]

وقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق : ٥]

قاعدة الإسلام في العلاقات الدولية

وضع الإسلام قاعدة عامة في العلاقات الدولية مع غير المسلمين سواء كانوا أهل كتاب . يهود أو نصارى . أو وثنيين أو غيرهم . وهذه القاعدة حددت معايير هذه العلاقة علي مستويين :

المستوي الأول : المسالمين للمسلمين ، الذين لا يعادوهم ولا يقاتلوهم ولا يخرجوهم من ديارهم ، ولا يعاونوا علي إخراجهم ، وهذا المستوي أقر فيه للمسلمين أن يعاملوا هؤلاء بمستوي البر ، الذي هو جماع الخير ، وأن يقسطوا إليهم ، أي يعدلوا معهم.

المستوي الثاني : المعادين للمسلمين ، الذين يقاتلونهم في الدين ويخرجونهم من ديارهم ويعانوا على إخراجهم ، والذين أبانت سورة الممتحنة وغيرها صفاتهم كما سيأتي. وهؤلاء نهئ المسلمون عن أن يتولوهم ، ويتخذوهم أنصارا ، ومن فعل ذلك من المسلمين صنف من الظالمين .

هذه القاعدة جاءت في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الممتحنة : ٨ . ٩]

ومع أن بعض المتقدمين من الرواة قالوا بأن ذلك خاص بمشركي مكة ، أو من آمن ولم يهاجر أو غير ذلك ، وأن بعضهم قال إن ذلك نسخ بقوله . تعالى . ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ٥] إلا أن إمام المفسرين . الطبري . نفي كل ذلك ، فنفي النسخ ، ونفي التخصيص ، وذكر أن النص عام لجميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا

إليهم .

قال الطبري : [وأولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم . إن الله عز وجل عمَ بقوله : [الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم] جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض، ولا معني لقول من قال : ذلك منسوخ لأن برَّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه قرابة نسب ، أو ممن لاقرابة بينه ولا نسب . غير محرم ولا منهي عنه ، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب علي عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح ، وقد بين صحة ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها . وقوله . تعالى . [إن الله يحب المقسطين] . إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم ، فيبرُّون من برهم ، ويحسنون إلى من أحسن إليهم] [١]

أما المستوي الثاني ، فيتمثل في هؤلاء الذين وقفوا من المسلمين ودينهم هذه المواقف كما جاء في الآية الثانية من القاعدة القرآنية ، وكما جاءت في نصوص قرآنية أخري .

يقول الشيخ القرضاوى : ومن هنا نري أن القران الكريم صنف غير المسلمين . وإن كانوا وثنيين . إلى قسمين :

١. مسالمين للمسلمين ، لم يقاتلوهم في الدين ، ولم يخرجوهم من ديارهم.

٢. وغير مسالمين ، بل قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم ، وظاهروا . أي عاونوا . علي إخراجهم .

[١] تفسير الطبري ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ الطبع ، ج ٢٢ ، ص ٥٧٤ .

فالأولون لهم حكمهم ، وهو البر لهم والإقساط إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ ﴾ ، والبر هو الإحسان وبذل المعروف للآخرين ، والإقساط هو العدل . وقد اختار القران كلمة : [تبروهم] لأن البر يعبر به في الإسلام عن أقدس الحقوق بعد حق الله تعالى ، وهو بر الوالدين .

وإنما جاء تقرير هذا المبدأ بصيغة : [لا ينهاكم الله] ؛ لأن بعض الناس قد يتصور أن الدين لا يقبل أن تعامل بالحسني من يخالفك في الدين ، فأراد النص القراني أن ينفي هذا الوهم من أذهان الناس ، وان هذا ليس موضع نهي.

وأما النصف الأخر . الذين قاتلوا المسلمين في الدين وأخرجوهم من ديارهم ... الخ . فهم الذين نهي الله تعالى إلى عن الولاء لهم ، إذ كيف يوالى المرء عدوه وعدو دينه وعدو أمته ، ولذا قال : [ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون][١] وتأسيسا علي هذه القاعدة ، وفي إطار المستوي الثاني منها ، نهي المسلمون عن :

١ ـ اتخاذ بطانة من دون المؤمنين .

كما جاء في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

يقول الطبري : لا تتخذوا من دون المؤمنين من يطلع علي أسراركم وما تطونه عن الأباء والأقارب أخلاًّء وأصفياء ، فإن هذه البطانة لاتترككم طاقتها خبالاً . فساداً . [٢]

---

[١] د. يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج ٢ ص ١٢٧٥

[٢] تفسير الطبري : ج٥ ص ٧٠٨.

٢ ـ اتخاذ أولياء من دون المؤمنين .

مثل الكافرين ، أو اليهود والنصاري ، أو أعداء الله وأعداء المسلمين ، أو الذين غضب الله عليهم ، أو حتى الآباء والإخوان أن استحبوا الكفر علي الإيمان.

. فالكافرون في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[آ ل عمران : ٢٨]

وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾[النساء:١٤٤]

قال الطبري عند تفسيره لآية آل عمران ، إن ذلك نهي من الله للمؤمنين بأن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراُ ، وأن يوالونهم علي دينهم ويظاهرونهم علي المسلمين من دون المؤمنين ويدلونهم علي عوراتهم ، فإن من يفعل ذلك فقد بريء من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر . إلا أن تتقوا منهم تقاة ، أي تكونوا في سلطانهم فتخافون علي أنفسكم . فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم[١]

وهو نفس المعني الذي ذكره ابن كثير ، قال : إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته . [٢]

واليهود والنصارى : في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
[المائدة : ٥١]

---

[١] السابق: ج٥ ص٣١٥

[٢] تفسير ابن كثير : ج٣ ص٤٤

ذكر الطبري أقوال أهل التأويل في المقصود من الآية[١] ، فنقل عن بعضهم قوله أن المعني هنا عبادة بن الصامت في برائته من حلف اليهود ، وفي تمسك عبد الله بن أبي ابن سلول بحلف اليهود. والآخر أحد رؤوس النفاق المعروفين حيث تبرأ الأول من حلفائه من اليهود وتمسك الآخر بذلك وقال إني أخاف الدوائر.

وقال آخرون : إن المعني بذلك قوم من المؤمنين هموا أن يأخذوا من اليهود عِصَمَاً ، بعد ما نالهم عقب أحد فنهاهم الله عن ذلك.

وقال آخرون: عني بذلك أبو لُبابة بن عبد المنذر في إعلامه بني قريظة إذا رضوا بحكم سعد ، أنه الذبح.

قال الطبري: [والصواب أن الله تعالى إلى نهي المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصاري أنصارا وحلفاء علي أهل الإيمان بالله ورسوله ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب علي الله وعلي رسوله والمؤمنين] ، وذكر أنه يمكن أن يكون نزول الآية خاص بأي من هذه الأقوال ، لكن [الصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم علي ما عم][٢]

وقد ذكر القرطبي الأقوال الثلاثة التي نقلها الطبري ، ثم قال في قوله تعالى [ومن يتولهم منكم] أي بعضدهم علي المسلمين ، فإنهم منهم : أي أن حكمه حكمهم ، وذكر أنه وإن كان الذي تولاهم ابن أبي بن سلول فإن هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة [٣]

---

[١] تفسير الطبرى ، ج٨ ص٥٠٤ – ٥٠٧

[٢] السابق : ج ٨ ، ص٥٠٧

[٣] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة

ومن أسباب عدم اتخاذ هؤلاء السابقين . اليهود والنصارى [أهل الكتاب] والكفار . أوليا اتخاذهم دين المسلمين هزوا ولعباً ، وخاصة الصلاة]

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾[المائدة : ٥٧ . ٥٨]

وأعداء الله وأعداء المسلمين ، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[الممتحنة : ١]

والآباء والإخوان إن استحبوا الكفر على الإيمان ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[التوبة : ٢٣] .

إذا لما كان أمر الولاية جلل بالنسبة للمسلمين وكذلك أمر البطانة حيث قوة المسلمين ومنعتهم . داخليا وخارجيا . كان الإيمان هو المعيار الحاكم والمحقق لمثل هذه الأمور. إذ كيف يتخذ المسلمون بطانة أو أوليا من أعدائهم .

فكما أن المؤمنين بعضهم أوليا بعض ، كما نصت هذه الآيات عن غير ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾[التوبة ٧١].

كذلك الكفار بعضهم أولياء بعض ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾[الأنفال : ٧٣] .

الرسالة بيروت ط أولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ، ج ٨ ص٤٧

وكذلك اليهود والنصارى بعضهم أوليا بعض ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] .

٣ ـ **مودة من عادي الله ورسوله** .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ [المجادلة : ٢٢]

قال الطبري : يوادون من عادي الله ورسوله وشاقهما ، وخالف أمر الله ونهيه[١]

وقال ابن كثير : الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله ... مجانبون للحق مشاقون له .[٢]

أما الألوسي فقال : قيل لا تجد قوما جامعين بين الإيمان بالله تعالى إلى واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله ..... وقيل لا تجد قوما كاملي الإيمان علي هذا الحال ، وموادة المحادين : موالاتهم ومظاهرتهم ، وحاد الله ورسوله : ظاهر في الكافر[٣]

أما الفخر الرازي فبعدما ذكر نفس ما سبق ، قال : فإن قيل أجمعت الأمة علي أنه تجوز مخالطتهم ومعاشرتهم ، فما هذه المودة المحرمة المحظورة ؟ قلنا المودة المحظورة هي إرادة منافسه دينا ودنيا مع كونه كافرا ، فأما ما سوي ذلك فله

---

[١] تفسير الطبري : ج٢٢ص٤٩٤

[٢] تفسير ابن كثير : ج١٣ص٤٦٧ – ٤٦٨

[٣] الألوسي : روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون سنة الطبع ، ج٢٨ص٣٥

حظه فيه[١]

ولما كان السلام هو منهج العلاقات الدولية ، والمحلية ، في الإسلام وأنه يسعى دائماً للمودة ، والتعاون والتكامل الإنساني لا للخصام والصدام ، لما كان هذا ، جاء التوجيه القرآني بفتح الباب مع الأعداء لعله يكون مورد خير ورافد مودة بين الفريقين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة : ٧]

إنه ترقب لعهود الأمن والطمأنينة بشوق ورغبة وكشف في صراحة عن أن سيادة المودة والصفاء بين الناس أصل في تقرير العلائق بينهم ، وأن طوارئ الخصومة ومظاهر الجفوة يجرها الأخرون بتعديهم واستهتارهم .[٢]

إن هذا الرجاء من الله ـ تعالى ـ الذي ذكره بكلمة[عسي] يملأ القلوب أملا بتغيير القلوب من العداوة والبغضاء إلى المودة والمحبة ، والله قدير علي تغيير القلوب ، فهو الذي يقلبها كيف يشاء ، والله غفور لما مضي من الأحقاد والضغائن رحيم بعباده الذين تصفوا قلوبهم .[٣]

وبمضمون هذه القاعدة بمستواها الأول ، وهو التعامل مع المسالمين جاء الأمر الإلهي برد التحية أو بأحسن منها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

[١] الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، دار الفكر – بيروت – ط الأولي ١٤٠١هـ/١٩٨١ ، ج٢٩ص٢٧٧

[٢] الشيخ محمد الغزالي : الإسلام والاستبداد السياسي ، دار الكتب الاسلامية – القاهرة – ط ٣ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٠٣

[٣] د. يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج٢ص١٢٩٦.

حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٨٦] .

وكذلك عدم سب آلهة غير المسلمين : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨]

وفي إطار تطبيق هذه القاعدة ، وفيما يخص المستوي الأول . الإحسان إلى المسالمين والعدل والتعاون معهم . جاءت تقنينات هذه القاعدة في شتي مناحي العلاقات بين المسلمين وهؤلاء المسالمين لهم علي اختلاف مللهم وديانهم .

التعامل مع أهل الكتاب .

أما أهل الكتاب فقد أحل الله للمسلمين طعامهم ، وأحل لهم أن يتزوجوا من نسائهم ، أي أن الكتابية – يهودية أو مسيحية . تشارك المسلم في بناء نواة المجتمع . وتشاركه في تعميم المودة والرحمة في هذه الأسرة ويصبح أهلها . غير المسلمين . صله رحم لأبنائه المسلمين فيبروهم ويحسنوا إليهم ، وهكذا تصنع هذه العلاقة في تلك الدائرة الاجتماعية ليس فقط السلم الاجتماعي ، بل المودة ، والتآلف والتعاون والتكامل .

[قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥]

وفي مجال التحاور والمجادلة ، أمر المسلمين بأن لا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين لا يستحقون هذه المعاملة ولا تتناسب معهم ، وهم الظالمون .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ

وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٌ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦]

أ- العلاقة مع اليهود .

وفي إطار ذلك تعامل النبي – ﷺ – مع بعض اليهود تجارياً ؛ فقد روي عن السيدة عائشة . رضي الله عنها . قولها : [توفي رسول الله . ﷺ . ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير] . [١]

وفي رواية أخري عن السيدة عائشة أيضا قالت : [اشتري رسول الله . ﷺ . من يهودي طعاما ورهنه درعا من حديد][٢]

وفي ذلك دلالة واضحة على إظهار جواز التعامل مع المسالمين من غير المسلمين حتى من إليهود ، وإلا للجأ النبي – ﷺ – إلى أحد المسلمين في هذا الأمر ، الذين يتوق أقلهم – إيماناً – ويملئ سعادة وفخراً ليقرض النبي – ﷺ –

ليس مجرد التعامل فقط ، بل الإحسان إلى المسالمين وذوى الحاجة ، فروي أبو عبيد في [الأموال]عن سعيد بن المسيب ، أن رسول الله . ﷺ . تصدق بصدقة علي أهل من اليهود ، فهي تجري عليهم[٣]

وعمر بن الخطاب يأمر بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين ، ثم يقول : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [سورة التوبة : ٦٠] ، وهذا من مساكين أهل الكتاب[٤]

وعبد الله بن عمر يوصي غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية ،

---

[١] البخاري : الصحيح ؛ رقم ٢٩١٦ كتاب الجهاد والسير .

[٢] مسلم : الصحيح ، رقم ١٧٠٣ كتاب المساقاة.

[٣] د. يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج٢ص١٣٠١.

[٤] د. يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج٢ص١٣٠١.

ويكرر الوصية مرة بعد مرة ، حتى دهش الغلام ، وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودي؟ قال ابن عمر : إن النبي . ﷺ . قال : [مازال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه][١] فرأي أن وصية جبريل بالجار تشمل المسلم وغير المسلم [٢]

وأيضاً الحرص على إسلامهم إنقاذا لهم من النار، فعن أنس – رضي الله عنه . قال : [كان غلام يهودي يخدم النبي . ﷺ . فمرض فأتاه النبي . ﷺ . يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم . ﷺ . فأسلم ، فخرج النبي . ﷺ . وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار][٣]

ب- العلاقة مع النصارى .

وفي إطار التسامح والإحسان جاء تعامل الإسلام مع المسالمين من النصارى ، لقد بلغ التسامح مع هؤلاء أن سمح النبي – ﷺ – لهم بالصلاة في مسجده.

قال ابن اسحق : [قدم علي رسول الله . ﷺ . وفد نجران ، ستون راكبا، ..... ولما قدموا علي رسول الله . ﷺ . المدينة ، دخلوا عليه مسجده حيث صلي العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، جبب وأردية ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله – ﷺ – يصلون ، فقال النبي . ﷺ . دعوهم ، فصلوا إلى المشرق][٤]

---

[١] البخاري : الصحيح ، رقم ٦٠١٥ ، كتاب الأدب .

[٢] د. يوسف القرضاوي : السابق ، ج٢ ص١٣٠٢.

[٣] البخاري : الصحيح ، رقم ١٣٥٦ ، كتاب الجنائز .

[٤] ابن هشام : السيرة النبوية ، مكتبة الإيمان المنصورة ط أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م

قال ابن القيم تعقيبا علي ذلك [جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة ، وفي مساجدهم أيضاً ، إذا كان ذلك عارضا ، ولا يمكنون من اعتياد ذلك][١]

ومن دلالات هذا التسامح وذلك الإحسان أنه لما ماتت أم الحارث ابن أبي ربيعة وهي نصرانية شيعها رسول الله – ﷺ [٢]

كما كان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيباً من صدقة الفطر لرهبان النصارى ولا يرون في ذلك حرجاً ، بل ذهب بعضهم – كعكرمة وابن سيرين والزهري – إلى جواز إعطائهم من الزكاة نفسها .

وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد : سئل عن الصدقة في من توضع ؟ فقال : في أهل المسكنة من المسلمين ، وأهل ذمتَّهم ، وقال : وقد كان رسول الله . ﷺ . يقسم في أهل الذمة من الصدقة والخمس .[٣]

وعن أسماء بنت أبي بكر . رضى الله عنهما . أنها قالت : أتتني أمي راغبة في عهد النبي . ﷺ . فسألت النبي . ﷺ . أصلها ؟ قال : [نعم] ، قال ابن عيينة فأنزل الله تعالى فيها ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ . . . . ﴾[الممتحنة : ٨][٤]

وفي رواية أخري : قال . ﷺ . : [نعم صلي أمك][٥]

ج٢ص١٤٨ – ١٤٩

[١] زاد المعاد ، ج٣ط السنة المحمدية ، عن الشيخ القرضاوي : فقه الجهاد ج٢ ص١٢٠١

[٢] ابن حزم في المحلي ١١٧/٥ ، عن د. القرضاوي ، فقه الجهاد ، ج ص ١٣٠٢ .

[٣] نفس السابق

[٤] البخاري : الصحيح ، رقم ٥٩٧٨ ، كتاب الأدب – باب صلة الوالد المشرك ، ومسلم : الصحيح ، رقم١٠٠٣ ، كتاب الزكاة

[٥] البخاري : الصحيح رقم ٥٩٧٩ ، بالصلة المرأة أمها ولها زوج ، وفي رواية أخري لمسلم : قدمت علي أمي وهي مشركة ، في عهد قريش ، مسلم : الصحيح ، رقم ١٠٠٣ ، كتاب

وفي قول القرآن يجيب عن شبهة بعض المسلمين في مشروعية الإنفاق علي ذويهم وجيرانهم من المشركين المُصِّرين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [١]

[سورة البقرة : ٢٧٢] .

وفي قول القران يصف الأبرار من عباد الله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الانسان : ٨]

ولم يكن الأسير حين نزلت الأية الا من المشركين[٢] وقد روي محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفه ومدون مذهبه : أن النبي ـ ص ـ بعث إلى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع علي فقرائهم ، هذا علي الرغم مما قاساه من أهل مكة من العنت والأذي هو وأصحابه[٣]

وعلي أساس ما تقدم ، وفي ضوء المستوي الأول لهذه القاعدة ، وبمنطقية واقعية وصورة عصرية ، يأتي السؤال الذي طرحه أحد أكبر فقهاء الإسلام المعاصرين : [هل يجوز أن تقوم بين المسلم وغير المسلم : مودة في التعامل الإنساني ، ولاسيما إذا كان غير المسلم علي خلق طيب ، وسريرة صافية ويتعامل مع المسلم بكل صدق وإخلاص ، وربما كان جاره في المسكن ، أو زميله في الدراسة ، أو رفيقه في السفر ، أو شريكه في العمل ، أو غير ذلك : هل يمنع

الزكاة . وأمها هي : قتيلة بنت عبد العزي

[١] د.يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج٢ص١٣٠٠.

[٢] نفس السابق.

[٣] نفس السابق.

الدين من هذه المودة وحسن العلاقة التي تنعقد بين الناس بعضهم وبعض بحكم الطبيعة البشرية ، وإن اختلفت دياناتهم[١]

وبين يدي الإجابة علي هذا السؤال ، عرض الشيخ القرضاوي لآيتين كريمتين ، وما جاء في سياقهما ، يستخدمها البعض دليلاً علي النهي عن إقامة المودة بين المسلم وغير المسلم علي الاطلاق . وهاتان الآيتان هما :

قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة : ٢٢]

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة : ٥١]

أما بخصوص الآية الأولي فذكر مضمون ما أورده المفسرون عن هذه الآية الكريمة . كما تبين من قبل ، وهو أن المقصود : [من حارب الله ورسوله وشاقه ورسوله فهذا شخص معادٍ للإسلام وأهله فكيف يطلب من المسلم أن يظهر له الود والمحبة ؟][٢] فهؤلاء هم[الأعداء المحاربين للمسلمين][٣]

ولو كانت مودة غير المسلم ممنوعة في الإسلام بصفة مطلقة ما أجاز الشرع الإسلامي للمسلم أن يتزوج الكتابية ، والزوجية في الإسلام تقوم علي أساس

---

[١] فقه الجهاد : ج٢ص١٢٦٤

[٢] نفس السابق .

[٣] السابق : ج٢ص١٢٦٥

وأركان منها المودة والرحمة ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]

ولذا قال ابن عباس : لا يجوز زواج الكتابية إذا كانت من قوم معادين للمسلمين ، واستدل بأية المجادلة السابقة [لا تجد قوما .....]

ويؤكد هذا أيضا قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١]

أما الآية الثانية . آية المائدة . فقد دل من خلال أسباب نزولها والسياق الذى جاءت فيه من خلال ما تلاها من آيات . كما ذكر الشيخ تفصيلا . أنها ليست مطلقة في يهود ونصاري عاديين مسالمين للمسلمين ، بل في يهود ونصاري معادين لهم محاربين لدعوتهم ، اليهود الذين نقضوا عهد رسول الله - ﷺ - وانضموا إلى أعدائه من الوثنيين المشركين ، الذين أغاروا علي المدينة وأرادوا القضاء علي الرسول وأصحابه واستئصال شأفة المسلمين ، واقتلاع الإسلام من جذوره ، لحساب الوثنية الجاهلية المعتدية[١]

والآيات التالية في سياق النهي عن الولاء لليهود والنصاري تؤكد ذلك .

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

[١] فقه الجهاد : ج٢ص١٢٦٧، وهذا ينطبق علي بني قريظة.

ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [المائدة : ٥٧ ، ٥٨]

فهؤلاء قوم أعلنوا الحرب علي الإسلام وأهله ، وهزأوا بعقيدته ، وهزأوا بشعائره ، وأعظمها الصلاة ، واتخذوها هزوا ولعباً [١]

[١] فقه الجهاد : ج٢ص١٢٦٧.

التقسيم الفقهى للعالم سلما وحرباً

– قسم الفقهاء العالم بالنسبة للمسلمين إلى دار الإسلام ودار الكفر ودار العهد ، ودار العهد هى دار المهادنة أو الصلح.

أما دار الإسلام فهى التى تتوافر فيها ثلاثة شروط ، وهى خلاصة ما ذكره الفقهاء فيها :[١]

١ – أن تكون السلطة والمنعة فيها للمسلمين ، وإن لم يكن جل سكانها مسلمين ، بل قال بعضهم ، ولو لم يكن فيها مسلمون غير الحكام .

٢ – أن تظهر فيها أحكام الإسلام وشعائره ، ولو جزئياً ، مثل أحكام الأسرة والأحوال الشخصية ، وظهور شعائر الإسلام مثل : بناء المساجد ، وإقامة الجُمع والجماعات، وصيام رمضان ، ونحو ذلك من الشعائر ، وهذا من أهم الشروط وأبرزها ، حتى قال الإمام أبو يوسف : [تعتبر الدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها ، وإن كان جل أهلها من الكفار ، وتعتبر الدار دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها ، وإن كان جل أهلها من المسلمين] : وهو ما أكده الكاسانى فى [بدائعه] .

٣ – أن يأمن المسلمون فيها على أنفسهم بحكم إسلامهم ، وأهل الذمة بمقتضى عقد ذمتهم .

وقد أجمع الفقهاء على أن ديار المسلمين – مهما تباعدت حكوماتها– تُعتَبر كلها داراً واحدة[٢] .

---

[١] د. يوسف القرضاوى : فقه الجهاد ، ج ٢ ص ٨٧٧ ، الشيخ محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية فى الإسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر– القاهرة– ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ، ص ٥٣.

[٢] د. يوسف القرضاوى : السابق ، ج ٢ ص ٨٧٧ .

أما دار الحرب ، فهى التى يكون السلطان فيها لأهل الكفر ، فلا تجرى فيها أحكام الإسلام ، ولا تقام فيها شعائره ، ولا يأمن أهلها بأمان المسلمين[١]. قال أحمد [وهو أبو بكر الرازى الجصاص] : ولا تصير دار حرب عند أبى حنيفة حتى يجتمع فيها ثلاثة أشياء :

الأول : أن تكون متاخمة لأرض الحرب ، لا يكون بينها وبين دار الحرب شئ من دار الإسلام .

الثانى : أن يجرى حكم أهل الكفر فيها .

الثالث : أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمى آمنا .

فإذا اجتمع فيها هذه الخلال الثلاث : صارت أرض حرب، ومتى قصر عن شئ منها لم تكن دار حرب[٢].

والشرط الأول – كما يرى الشيخ أبو زهرة وغيره – لا موضع له الآن ، لأن القتال لم يعد يحتاج إلى المتاخمة، للتحكم فى الفضاء والأجواء، والخلاف هنا ليس خلاف حجة وبرهان ولكن خلاف حال وزمان[٣].

وهذا التقسيم الثلاثى اعتبره بعض الفقهاء المعاصرين ، ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة ، أمر فرضه الواقع على الفقهاء الأقدمين [٤] ، لكن الشيخ القرضاوى اعتبر أن الفقهاء فى مسيرتهم الاجتهادية كلها لم يخترعوا شيئاً من عند أنفسهم، دون استناد إلى أصل شرعى من نص أو قاعدة أو مقصد[٥]. ثم استعرض

---

[١] د. يوسف القرضاوى : السابق ، ج ٢ ص ٨٧٧ .

[٢] نفس السابق .

[٣] الشيخ أبو زهره : العلاقات الدولية فى الإسلام ، ص ٥٤.

[٤] السابق ، ص ٥١.

[٥] فقه الجهاد ، ج٢ ، ص ٨٦٩ .

الشيخ أصل الفكرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن القرآن الكريم : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء : ٩٢]

فالآية الكريمة تشير إلى اختلاف الدور ، وإن عبرت عنها باختلاف الأقوام، ﴿كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ ، ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ [١].

وأيضا قوله تعالي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[الأنفال : ٧٢- ٧٣]

ففي هذا النص انقسم الناس إلى فئات وأصناف :

١- المؤمنون الذين تضمهم دار الإسلام من المهاجرين والأنصار.

٢- المؤمنون الذين بقوا في دارهم ، وهي دار معادية للمسلمين ،ولم يهاجروا إلي دار الإسلام .

٣- الكفار الذين بينهم وبين المسلمين ميثاق .

٤- الكفار الآخرون الذين لم يرتبطوا مع المسلمين بأي عهد أو ميثاق.

فالصنف الأول : لهم حق الولاية والنصرة، بحكم الإيمان ووحدة الدار.

[١] فقه الجهاد ، ج٢ ، ص ٨٧٠.

والصنف الثاني :ليس لهم حق الولاية والنصرة، لوجودهم في دار الكفر أو دار الحرب ولكن لهم – بحكم وحدة الدين–حق النصرة إذا استنصرونا في الدين، فعلينا أن ننصرهم علي من عاداهم، إلا أن يكون هؤلاء المعادون لهم قوما بينهم وبين المسلمين ميثاق، ومعني هذا: أن الميثاق أو العهد هنا أقوي من مجرد الإيمان مع اختلاف الدار .

وبهذا تبين لنا الموقف من الصنف الثالث : وهم الذين ارتبطوا بعهد موثق مع المسلمين، وقد وصف الله المؤمنين بقوله﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠] ، فمن حقهم أن يفي المسلمون لهم بما عاهدوهم عليه، وأن ينصروهم علي أعدائهم، ولو كان هؤلاء مسلمين ما داموا لا يقيمون بدار الإسلام .

والصنف الرابع : هم الكفار الذين لم يهادنوا المسلمين ولم يعاهدوهم ، فهؤلاء يعتبر القرآن دارهم – وإن تعدّدت وتباعدت– [دارا واحدة] بحكم ولاء بعضهم لبعض، ونُصرة بعضهم لبعض ، حتى قال الفقهاء : الكفر كله ملة واحدة. وهذا معني قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال : ٧٣]. وفي هذا تحريض للمسلمين أن يوالي بعضهم بعضا ، وإلا كانت فتنة في الأرض وفساد كبير ، لأن مقتضي هذا : أن يجتمع أهل الكفر ويتفرق أهل الإسلام ويتناصر أهل الباطل ويتخاذل أهل الحق، وهذا هو الخطر الكبير، والشر المستطير.

كذلك استدل الشيخ القرضاوى ببعض الأحاديث التى ورد فيها إشارات لذلك ومنها قول النبى – ص– فى وصيته لأمراء سراياه وقادة جيوشه : [إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف

عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين....][1]. فهنا عبرّ عن دار الإسلام بـ " دار المهاجرين " ، والمعنى واحد[2].

ويترتب على نفى الإسلام عن هذه البلاد أن يعفى سائر المسلمين من الاهتمام بها ، والدفاع عنها ، والحرص على إيصال كل خير إليها، ودفع كل شر عنها ، ما دامت قد خرجت من الدائرة الإسلامية[3].

- **التكييف الفقهى للواقع المعاصر** .

كيَّف الفقهاء المحدثون الواقع المعاصر على أنه دار عهد بالنسبة للمسلمين بموجب الاتفاقيات الدولية التى تجمعنا مع دوله، ما عدا الكيان الصهيونى لاحتلاله أرض المسلمين وعدائه لهم .

يقول الشيخ أبو زهرة : يجب أن يلاحظ أن العالم الآن تجمعه منظمة واحدة قد التزم كل أعضائها بقانونها ونظمها، وحكم الإسلام فى هذه أنه يجب الوفاء بكل العهود والالتزامات التى تلتزمها الدولة الإسلامية عملا بقانون الوفاء بالعهد الذى قرره القرآن الكريم ، وعلى ذلك لا تعد ديار المخالفين التى تنتمى لهذه المؤسسة العالمية دار حرب إبتداء بل تعتبر دار عهد[4].

ويقول الشيخ القرضاوى : إن سائر العالم بالنسبة لنا– نحن المسلمين– يعتبر [دارعهد] ، فيما عدا دولة الكيان الصهيونى [إسرائيل] ، فنحن نرتبط مع هذا العالم من حولنا بـ [ميثاق الأمم المتحدة] بوصفنا نحن المسلمين جميعاً أعضاء فى هذه الهيئة.... فبمقتضى توقيعنا على الانضمام إليها، أصبح بيننا وبينها عهد

[1] مسلم : الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، رقم ١٧٣١.
[2] فقه الجهاد ، ج ٢ ص ٨٧٢.
[3] السابق : ج٢ ص ٨٩٥.
[4] العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص ٥٧.

وميثاق يجب علينا شرعاً الوفاء بكل موجباته، إلا ما كان مناقضاً لديننا وشريعتنا، فهو لا يلزمنا[١].

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر ، بتاريخ ١٨ من جمادى الأولى ١٣٧٥ هـ/ ١ يناير ١٩٥٦م ، بتحريم الصلح مع إسرائيل [لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبته ، والاعتراف بحقيّة يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه] ، وكان فى هذه اللجنة الشيخ حسنين مخلوف رئيسا لها، وهو مفتى مصر سابقاُ ، كذلك الشيخ محمود شلتوت وغيرهما [٢].

والأحلاف ضرب من التعاقد على التعاضد والتعاون، وقد حالف النبى – ص– فى صلح الحديبية قبيلة خزاعة وأجاز التحالف مع كل من يرجى منه خير للمسلمين . أما حديث [لا حلف فى الإسلام][٣] فالمقصود به نفى الحلف الذى كانوا يتوارثون به فى الجاهلية، حتى ألغاه القرآن بقوله تعالى : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ءَامَنُواْ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال : من الآية٧٥]

أما التحالف على التناصر والتساند فى السلم والحرب ، فلا مانع منه شرعاً، وفى الحديث المذكور نفسه : [..... وأيما حلف كان فى الجاهلية ، لم يزده الإسلام إلا شدة][٤].

وفى حديث آخر : [ما يسرنى أن لى حمر النعم ، وأنى نقضت الحلف الذى

[١] د. القرضاوى : السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩٥.
[٢] السابق ، ج٢ ، ص ٩٠٢– ٩٠٣.
[٣] مسلم : الصحيح ، رقم ٢٥٣٠ .
[٤] بقية الحديث السابق.

كان فى دار الندوة][1]. يشير إلى ما عرف باسم [حلف الفضول] أو [حلف المطيبين] الذى أُسّس من بعض وجهاء مكة ، لنصرة المظلومين، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم من الأقوياء، وفيه قال الرسول الكريم : [شهدت حلف المطيبين مع عمومتى وأنا غلام ، فما أحب أن لى حُمر النعم وأنى أنكثه][2] فهو من باب التعاون على البر والتقوى[3].

- **جهاد تعريف العالم بالإسلام ودعوته إليه** .

من المعروف والثابت – تاريخياً ودينيا – لدى كل الأمم – تقريباً – أن رسالة الأنبياء كانت محلية ، خص بها قوم الرسول المبعوث ، وآخر هذه الرسالات – قبل رسالة محمد – ص – رسالة عيسى – عليه السلام – إليهم فقط ، وقد جاء ذلك فى الكثير من نصوص العهد الجديد على لسان عيسى ـ عليه السلام . ومن ذلك قوله : لرسله الاثنى عشر بعد أن أعطاهم سلطة على الأرواح النجسة . كما نص العهد الجديد . ليطردوها ويشفوا كل مرض وعلة : [لا تسلكوا طريق إلى الأمم ، ولا تدخلوا مدينة سامرية ، بل اهبطوا بالأحرى إلى الخراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل] [4]. وقال أيضا : [ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل] [5]

إلا أن رسالة محمد – ص– كانت عامة للناس جميعاً وممتدة إلى قيام الساعة ، قال تعالى :﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨]

---

[1] رواة الطبرانى فى الكبير ، ج ١١ ، ص ٢٩٣.

[2] أحمد : المسند ، رقم ١٦٥٥.

[3] د. القرضاوى : السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩٩– ٩٠٠.

[4] انجيل متى : إصحاح ١٠ فقرة ٥ . ٦.

[5] السابق : إصحاح ١٤ فقرة ٢٤ .

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان :١]

ومع ذلك رأينا أصحاب الديانات المحلية – مثل المسيحية – يبذلون جهوداً لا حدود لها لنشرها فى كل العالم ، من خلال كافة الوسائل الممكنة ، حيث ترجم الإنجيل [ضمن الكتاب المقدس] إلى مئات اللغات ، وأرسلت البعثات التنصيرية ، إلى كافة أنحاء العالم ، وخاصة الشعوب الفقيرة مثل شعوب إفريقيا ، بل إن أصحابها قاموا بمحاولات كثيرة لإجبار الناس على اعتناق المسيحية ، مستندين فى ذلك إلى ما زعموه أنه من أوامر المسيح عليه السلام ، فضلا عن كونه من تعاليم كبار باباوات الكنيسة[١].

فإذا كان أصحاب الديانة المحلية ، التى جاءت تحمل فى نصوصها هذه الصفة ، جعلوا منها ديانة عالمية بحد السيف – كما أثبت الواقع التاريخى وأكده أقوال مؤرخيها– فمن باب أولى أن تحقق الديانة العالمية – الإسلام – صفتها وأن تصل إلى كل شعوب الأرض.

وجهاد الطلب – الذى هو غزو العدو فى عقر داره ، والذى اضطر إليه المسلمون قديماً ، ليزيحوا [السلطات الطاغية] من طريق الدعوة إلى الإسلام ، هذه السلطات التى تحجر على شعوبها أن تستمع إلى أى دعوة جديدة ، كما كان يفعل كسرى وقيصر ، وأمثالهما من ملوك الأرض ، وجبابرتها المسلطين على الشعوب– جهاد الطلب هذا لم نعد بحاجة إليه اليوم ، إذ لم يعد هو الوسيلة المتعينة لإيصال كلمة الإسلام إلى أمم الأرض[٢].

ولم يعد هناك ملوك وأباطرة يستطيعون منع شعوبهم من الاستماع إلى

[١] سيأتى تفصيل ذلك.

[٢] د. يوسف القرضاوى : فقه الجهاد ، ج٢ ، ص ١٣٣٦–٧ .

دعوة جديدة أو عقيدة جديدة [١] [ومن الجهاد المطلوب فى عصرنا ، وفى كل عصر ، إلى أن تقوم الساعة : جهاد تبليغ الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم ، بكل لغاتها ، وبما يبين لهم حقائقها وأصولها وأهدافها ، ويرد أباطيل خصومها ، ويدفع شبهاتهم][٢].

وقد ذكر الشيخ القرضاوى أن آليات ذلك هى الوسائل العصرية من [الإذاعات الموجهة إلى الأمم بلغاتها المختلفة والقنوات الفضائية التى تصل إلى أنحاء العالم شرقاً وغرباً ، وشبكة المعلومات العالمية : الإنترنت ، هذه الأدوات الجبارة التى تستطيع أن تخترق الأسوار ، وتدخل على الناس بيوتهم ، ولا تحتاج إلى إذن الرقيب ، ولا سماح الحكومة. هذا فضلاً عن الكلمة المقروءة عن طريق الكتب والرسائل والنشرات والصحافة الشهرية والأسبوعية واليومية] [٣].

وبتبليغ أمم الأرض رسالة الإسلام بلغاتها المتعددة ، وبالطريقة التى تفهمها ، وبالصورة المشوقة ، والأساليب المنوعة من الكلمة القصيرة والخطبة والدرس والمحاضرة ، والحوار والقصة ، والعمل الدرامى بصورة مختلفة ، وإتقان هذه الأساليب هو [الجهاد الكبير] ، كما سماه القرآن فى سورة الفرقان ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٢] أى بالقرآن[٤].

وقد أكد الشيخ القرضاوى أن [الجهاد وسيلة وطريق ، وليس غاية فى ذاته ، وغايته أن تعلو كلمة الإسلام ، وتبلغ الآفاق وتنشر بين الناس ، حتى تقوم

---

[١] د. يوسف القرضاوى : فقه الجهاد ، ج ٢ ، ص ١٣٣٨- ٩ .

[٢] السابق : ج ٢ ، ص ١٣٣٢ .

[٣] السابق ، ج ٢ ص ١٣٣٧ .

[٤] السابق ، ج٢ ص ١٣٣٧-٨ .

عليهم الحجة ويهتدى بهداها من وفقه الله وشرح صدره للإسلام] ونقل فى ذلك قول العلاقة الخطيب الشربينى ، وهو من متأخرى الشافعية ، [وجوب الجهاد : وجوب الوسائل لا المقاصد ، إذ المقصود بالقتال : إنما هو الهداية ، وما سواها من الشهادة. وأما قتل الكفار ، فليس بمقصود ، حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل ، بغير جهاد : كان أولى من الجهاد][1]. إن الشرع الإسلامى يرحب بذلك بلا ريب ، ويقول ما قاله القرآن بعد غزوة الأحزاب [وكفى الله المؤمنين القتال][2].

[1] مغنى المحتاج : ج ٦ ص ٤٤ ، عن د. القرضاوى : السابق ، ص١٣٣٩ .

[2] د. القرضاوى : نفس السابق .

الدفاع عن النفس ورد العدوان

في الواقع التاريخي ظل المسلمون في مكة طوال ثلاثة عشر عاماً يئنون تحت بلاءات المشركين ، ويذقون ألوانا من عذاب المستكبرين ،فيفقد بعضهم حياته وبعضهم أهله أو ماله ، أو داره ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠]

ولعلها من الأمم الأشد بلاءً بين أمم الرسل السابقين ، لقد مات ياسر وزوجته التي طعنت في موطن عفتها ، وفقد عمار ابنهما والدية ولم ينج هو من العذاب بل كان رفيقها في ذلك ، حيث كان مواليهم بنو مخذوم يخرجونهم إذا حميت الظهيرة إلي رمضاء مكة فيعذبوهم ويلبسوهم دروع الحديد المحماه بالنار فمات الوالدان ، وأنقذ الابن نفسه بكلمات من لسانه لم تجاوزه إلي قلبه، وكان ربه به عليما فانزل براءته في قوله تعالي: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]

وكان يُفعل ببلال بن رباح مثل ذلك فتوضع الصخور العظيمة علي صدره في ظهيرة مكه الموقدة ، ويقولون له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزي، ويكون رده : أحد أحد

ولم تسلم النساء من ذلك ، فقد عذبوا من قدروا عليه منهن ، وقد استشهدت من قبل أم عمار بن ياسر ، ومن الأخريات المعذبات في دينهن ، زنيرة الرومية أمة عمربن الخطاب ، حيث أسلمت قبله فعذبها ، وأم عنيْسى أمة بنى زهرة ، وحمامة أم بلال بن رباح ، والنهدية وابنتها ، وغيرهن .

لقد وثبت كل قبيلة علي من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة ما يصبه ، ومنهم من يعصمه الله ، وقد بين كلام ابن عباس شدة ما كان يلاقيه هؤلاء من العذاب ، وذلك عندما

سأله سعيد بن جبير : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنه ، حتى يقولوا له : اللات والعزي إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، حتى إن الجعل يمر بهم فيقولون له : أهذا الجعل إله من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده. [١]

وقد أكد كلام ابن عمر تلك المشاهد إذ قال :كان الإسلام قليلاً فكان الرجل يُفتن في دينه ، إما يقتلونه وإما يوثقونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنه. [٢]

كذلك كان نهب دور المسلمين وأموالهم نهجاً ثابتاً عند كفار قريش ، ومن ذلك استيلاء أبي سفيان بن حرب علي دور بني حجش عندما ها جروا حيث قضي بها ديناّ عليه [٣]

كذلك استولي كفار قريش علي كل أموال صهيب بن سنان الرومي مقابل أن يتركوه يهاجر إلي المدينة [٤]

أما ما فعلوه مع نبي الله الذي أتي لهدايتهم من ضلالهم وتطهيرهم من رجسهم ، فهي أمور لا يتحملها إلا نبي مثله أوتي الصبر والعزم ، وأخرها في مكة التأمر علي قتله وضياع دمه بين قبائلهم.

كل هذا – وهو قليل من كثير – والإسلام لا يأمر أتباعه هؤلاء ونبيهم بالقتال ، بل كان أمره لهم [كفوا أيدكم وأقيموا الصلاة] وهو منهجهم طوال تلك

---

[١] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ص ١٩٨ ، ٢٠٠

[٢] البخاري : الصحيح ، ج٢ص٤٣٠ ، رقم٥٦٥٠

[٣] ابن هشام : السابق ، ج٢ص٩٥-٩٦

[٤] السابق : ج٢ ، ص٨١

المرحلة العصيبة في تاريخ الأمة والتي استمرت حتى أوائل العام الثاني بعد الهجرة حيث أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم ودينهم .

أما في العهد المدني فلم يصطدم المسلمون بغيرهم من المشركين أواليهود أوالنصاري إلا بدوافع وفي ظروف اضطرارية وفي إطار مشروع ، إنسانيا وتاريخياً، وذلك من خلال الآتي :

الدفـاع عن النفـس .

مثل غزوة بدر ، حيث كان المسلمون يدافعون فيها عن أنفسهم ضد كفار مكة الذين أتوا إليهم في عقر دارهم الجديدة ليقضوا عليهم عام[٢ هـ/ ٦٢٣ م].

ومثل غزوة الأحزاب – الخندق . عام [٥ هـ/ ٦٢٦ م] ، حيث تجمعت الأحزاب من كل الجزيرة العربية بما فيهم اليهود وحاصروا المسلمين في مدينتهم وحالوا القضاء عليهم.

وكذلك في تبوك عام[٩ هـ/٦٣٠ م] ، خرج المسلمون للدفاع عن أنفسهم عندما علموا أن الروم قد جمعت لهم وعزمت علي غزو بلادهم .

نقض العهد مع المسلمين والعدوان عليهم .

مثل جلاء بني قينقاع ، لأنهم نقضوا المعاهدة التي بينهم وبين المسلمين، واعتدوا علي امرأة مسلمة من الأنصار وكشفوا عورتها .

ومثل غزوة بني النضير عام [٤هـ/٦٢٥ م] ، وذلك لأنهم أعانوا قريشاً علي الإغارة على المدينة ، وقاموا بمحاولتين لقتل النبي . ﷺ . الأولى بعد غزوة بدر عندما طلبوا منه – ص مقابلتهم مع اثنين من أصحابه لمحاجتهم وهم يقصدون قتله ، والثانية عندما ذهب إليهم النبي – ص . لحل مشكلة دية قتيلين ، فدبروا مؤامرة لقتله – ﷺ من خلال إلقاء أحدهم عمر بن جحاش . حجر علي النبي – ﷺ . من أعلي الحائط الذي جلس النبى تحته . فضلاً عن تحريضهم للأحزاب لغزو المدينة.

وكذلك غزوة بني قريظة عام [٥ هـ/ ٦٢٦ م] ، حيث نقض هؤلاء المعاهدة مع المسلمين ، واشتركوا مع الأحزاب قي قتالهم في غزوة الخندق ، وكانوا يغيرون علي المسلمين من الخلف علي نسائهم وشيوخهم ومرضاهم الذين تركوهم في بيوتهم وخيامهم.

وكذلك جلاء خيبر عام [٧ هـ / ٦٢٨م] ، التي أضحت مركزاً ليهود المدينة الذين تم جلاؤهم مثل بني النضير الذين حرضوا الأحزاب علي غزو المدينة ومازالوا ببني قريظة حتى جعلوهم ينقضوا العهد مع النبي – ﷺ . ويشتركوا مع الأحزاب في حرب المسلمين.

وكذلك فتح مكة عام [٨هـ/ ٦٢٩ م] ، فبموجب معاهدة الحديبية دخلت خزاعة في عهد النبي – ص . ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، وبعد عامين أعتدت بنو بكر علي خزاعة وتحالفت معها قريش ، فاستجارت خزاعة بالنبي . ص . والمسلمين .

رد العـــدوان .

ومن ذلك غزوة مؤتة ، حيث قتل أمير بصري رسول رسول الله ﷺ الحارث ابن عمير الأزدي الذي كان يحمل إليه كتابا من النبي – ص – ولم يقتل للنبي رسول غيرة .

وفي العصور التالية اضطر المسلمون إلي الصدام مع قوي استعمارية ، وكيانات أخري للأسباب الآتية :

- الدفاع عن النفس ورد العدوان .
- حماية حرية العقيدة والدعوة إلي الإسلام .
- تحرير شعوب مستضعفة .

أما ما يتعلق بالدفاع عن النفس ورد العدوان ، فهذا امتداد لما حدث في

عهد النبي ص– حيث حاربت كل القوي ، من مشركين ويهود ، ومسحيين روم ، الإسلام وأتباعه .

أما بعد ذلك فقد واجه المسلمون القوي الخارجية من الفرس والروم الذين كانوا يتربصون بالمسلمين ويسعون للقضاء عليهم وعلي دينهم .

فعندما أرسل النبي ـ ص ـ رسالته إلي كسري يدعوه فيها للإسلام ، مزقها وأرسل عامله علي اليمن – باذان – يأمره بأن يأتي له بمحمد – ﷺ . فأرسل عامل اليمن رجلين أبلغا النبي – ﷺ بالأمر فأعلمها النبي ـ ص ـ بهلاك كسري. وأخذ الفرس في الاعتداء علي المسلمين علي حدود العراق ، وتدخلوا في حروب الردة إلي جانب المرتدين وأعدوا سجاح بنت الحارث المرتدة بجيش كبير لمحاربة المسلمين ، فاضطر المسلمون للصدام معهم دفاعا عن أنفسهم ورداً للعدوان ولتتمكن الشعوب في الإمبراطورية الفارسية من التعرف علي الدين الجديد.

أما الروم فلم يكونوا أقل من الفرس عداءً للمسلمين ، وقد حاولوا حرب المسلمين في دارهم ، فدافع المسلمون عن أنفسهم من خلال غزوة تبوك [٩هـ / ٦٣٠م] ، كذلك رفضوا دعوة النبي – ﷺ إلي الإسلام ومنعوا بذلك الشعوب التي يحتلونها من أن تصلهم دعوة الإسلام.

وبصفة عامة ، لم يبدأ النبى – ص ـ والمسلمون أحدا من أعدائهم بالقتال فى عصر النبوة ، وما قاموا به لم يكن إلا دفاعاً عن النفس أو رداً لعدوان.

- فمن الثابت تاريخياً أن النبى – ﷺ ـ والمسلمين لم يقاتلوا أعداءهم من المشركين إلا بعد ١٤ سنة من الإيذاء وقتال هؤلاء المشركين لهم ـ فى العهد المكى وبداية العهد المدنى ـ وعندما علم المسلمون أن هؤلاء لم يكفوا عن قتالهم وإيذائهم حتى بعد أن تركوا ديارهم فى مكة ، وكما تبين طوال العهد المدنى ، وهذا من أهم مبادئ الحياة لدى كل المخلوقات وهو

الدفاع عن النفس .

- **كذلك لم يبدءوا اليهود بالقتال ، بل إنهم – المسلمين بقيادة النبى – ﷺ عقدوا معهم المعاهدات والاتفاقيات منذ بداية العهد المدني وعاش اليهود فى كالمدينة دون أن يلحق بهم أذى ، وفى خارج المدينة أيضا ، حتى عاد هؤلاء إلى طبيعتهم من نقض العهود وإيذاء الناس بل وقتالهم والتحريض عليهم ، وهو ما فعلوه مع المسلمين ، حيث ألحق بنو قينقاع الإيذاء بإحدى المسلمات وكشفوا عورتها وقتلوا مسلما دافع عنها ، مع وجود اتفاق بينهم وبين المسلمين ، وحرض بنو النضير الأحزاب علي قتال المسلمين وقاتلوا معهم ، ونقض بنو قريظة عهدهم مع المسلمين وشاركوا الأحزاب في قتال المسلمين ، وهكذا ، فكان لزاما علي المسلمين أن يردوا ويدافعوا عن أنفسهم ويجنبوا الناس شر هؤلاء ، قصاصا أو إجلاء.**
- **أما النصارى ، فكانوا موجودين في نجران وغيرها في شبه الجزيرة العربية ولم يمسهم المسلمون بأذى ، لكن نصارى الشمال من الروم وأتباعهم من نصارى العرب ، اعتدوا علي هيبة الدولة حيث قتلوا رسول رسول الله ، كما قتلوا بعض من أسلم – مثل فروة بن عمرو الجذامي – كذلك أعدوا العدة لغزو الدولة الإسلامية ، فاضطر المسلمون إلى رد هيبة الدولة من خلال غزوة مؤتة عام[٨ هـ / ٦٢٩م] ، كما اضطروا إلي الدفاع عن أنفسهم من خلال غزوه تبوك عام [٩ هـ / ٦٣٠م] .**

وفي العصور التالية قام الروم باعتداءات متكررة علي الثغور والبلاد الحدودية للمسلمين بصورة دورية كما سيأتي تفصيلا ، مما دفع المسلمين إلي الصدام معهم دفاعا عن أنفسهم من خلال ما عرف في التاريخ الإسلامي بـ [الصوائف والشواتي] وهي عبارة عن رد فعل ودفع للاعتداء .

كذلك اضطر المسلمون للصدام مع الروم لتبليغ دعوة الإسلام إلي الشعوب التي كانت تحت احتلال الروم ، ولحماية حرية العقيدة وكذلك لتحرير تلك الشعوب التي استغاث بعضها بالمسلمين ، ومنحها حرياتها .

وفيما يأتي نماذج من اعتداءات الروم علي الثغور والبلدان الحدودية الإسلامية :

ففي عهد المعتصم العباسي ، سنة [٢٢٣هـ/٨٣٧ هـ] غزا صاحب الروم كما يقول الطبري تُوْفيل بن ميخائيل زبطرة ، فأسر أهلها وخرب بلدهم ثم مضي إلي ملطية فأغار علي أهلها وعلي أهل حصون من حصون المسلمين وسبا من المسلمات أكثر من ألف امرأة ، ومثل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وأنافهم[١] ، ويذكر اليعقوبي أن الروم قتلوا وأسروا كل من في زبطرة ، وأخرجوهم [٢]

وكان هذا هو السبب في فتح المعتصم لعمورية ، وهي من أكبر المدن البيزنطية أنذاك ، وهذا ما ذكره المؤرخون المسلمون ومنهم الطبري [٣] واليعقوبي[٤]

وكذلك المؤرخون المسيحيون ، ومنهم ابن العبري الذي قال : [لما اطلع توفيل علي ما فعله العرب في عمورية جعل يلوم نفسه لأنه هو كان السبب في ذلك منذ أخرب زِبَطْرةْ] [٥]

وفي سنه [٢٤٢هـ/٨٥٦م] أغار الروم علي بلاد الجزيرة فنهبوا منها

---

[١] الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف – مصر ١٩٧٧– ١٩٧٩م ، ج٩ص٥٥

[٢] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبى ، دار صادر – بيروت– بدون سنة الطبع ، ج٢ ص٤٧٦

[٣] تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٥٦–٥٧

[٤] تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٤٧٥–٦

[٥] تاريخ الزمان ، ص٣٣

أشياء كثيرة ، وأسروا ١٠ الآف [١]

وفي سنة [٢٨٨هـ / ٩٠١م] قصد الروم بلاد الرقة براً وبحراً ، فقتلوا خلقا وأسروا نحو ١٥ ألفاً [٢]

وفي سنة [٣١٥هـ /٩٢٧م] زحفت جيوش الروم إلي سمسياط . كما يقول المؤرخ المسيحي ابن العبري . ونصبوا خيمة الملك في مسجدها الكبير وقرعوا فيه النواقيس وسبوا وانقلبوا عائدين ، فطاردهم العرب ، وردوا بعض الغنائم وأسروا نسيب الروم . كذا . وذهبوا به مأسوراً إلي بغداد [٣]

وفي سنة [٣٢٢هـ/٩٣٣م] قصد ملك الروم ملطية في خمسين ألفا فحاصرها ثم أعطى أهلها الأمان حتى تمكن منهم فقتل منهم خلقا كثيرا واسر ما لا يحصون كثرة كما يقول ابن كثير. [٤]

وفي سنة [٣٣٢هـ/٩٤٤ م] أغار الروس علي نواحي أذربيجان من ناحية البر ، فحاصروا [بردعة] وقتلوا أهلها ، وغنموا أموالهم وسبوا من استحسنوا من نسائهم كما جاء في رواية ابن كثير [٥].

وفي سنة [٣٣٠هـ/ ٩٤٢م] زحف الروم إلي قيليقية وأجلوا من بلد [حمشوش] ١٥ألف نسمة ، وأحرقوا القرى وانطلقوا [٦]

---

[١] ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، دار الغد العربى – القاهرة –١٩٩٢م ج١٠ص٩٠٣

[٢] السابق ، ج١١ ، ص١٠٩

[٣] تاريخ الزمان ، ص٥٣

[٤] البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٢٨.

[٥] البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٢٦٨

[٦] تاريخ الزمان ، ص٥٧

وفي سنة [٣٤٨هـ/٩٥٩هـ] غزت الروم مدينة سروج وقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها[١]

وفي سنه [٣٥٠هـ/٩٦١م] خرجت قافلة عربية كبيرة من أنطاكيا متوجهة إلي طرسوس ، فانقض عليها كمناء الروم وقتلوا بعضهم وأسروا أغلبهم كما جاء في روية الؤرخ المسيحي ابن العبري [٢]

وفي سنة [٣٥١هـ/ ٩٦٢م] قام الروم بعدة مجازر في قيليقية وعشرات الحصون ، وكان السبي والتدمير .

يقول المؤرخ المسيحي اين العبري : وفي السنة ١٢٧٤ لليونان ٩٦٣م ، وهي السنة ٣٥١ للعرب وصل نيقيفور الدمستق في مائة وستين ألف فارس إلي قيليقية وحاصر عين زربة وحاربها حربا شديدة حتى أيسّ أهاليها العرب من مساعدة تأتيهم وطلبوا الأمان علي حياتهم وعلي أموالهم سلموا القلعة ، خصوصاً وأنهم شاهدوا الروم كادوا يخرقون السور الذي بجانب الجبل . فدخل نيقيفور وعرف أنهم كانوا علي وشك احتلال البلد دون عناء ، فندم علي ما فات وأمر أن يحتشد الأهالي قاطبة في المسجد وأن من يتخلف يؤخذ رأسه ، وعند الصباح دخل الروم المدينة راجلين وفتكوا بكل من وجدوا في البيوت والشوارع رجالا ونساءً وصبيانا وجمعوا من السلاح أربعين إلف درع سوي السيوف والقسي ، وقطعوا أربعين ألف شجرة نخل . ثم أمر نيقيفور أن يخرج جميع من في المسجد وذهبوا حيثما شاؤوا ومن بقي حتي المساء يقتل فخرجوا يزحم بعضهم بعضا وهلك بالزحمة جماعة من رجال ونساء وفتيان وقضي البقية في الطريق ، وهم مارون علي وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، ثم قوض نيقيفور المسجد ودك سوري المدينة ودورها . وظل اثنين

[١] ابن مسكوية ، تجارب الأمم ، ج٥ ص٣٠٥.

[٢] تاريخ الزمان ، ص٦١

وعشرين يوما في قيليقية ودوخ أربعة وخمسين حصنا بعضها بالسيف ، وبعضها صلحا ، قيل لما خرجت النساء العربيات من أحد الحصون صلحا تحرش بهن بعض الأرمن فغار رجالهن واستلوا السيوف فسخط نيقيفور الدمستق علي المعتدين ، ثم فتك الروم بأربعمائة رجل وبعدد وافر من النساء وارتحل نيقيفور ومن معه إلي قيسارية بسبب دنو الصوم الأربعيني علي أن يعود بعد العيد .[١]

وفي سنة [٣٥٣هـ /٩٦٤م] حاصر [الدمستق] المصيصة وثقب سورها ، وأحرق رستاقها كما يقول ابن كثير وقتل من حولها ١٥ ألفاً ، وعاثوا في بلاد أذنة وطرسوس فساداً ثم رجع إلي بلاده[٢]

وفي السنة التالية [٣٥٤هـ / ٩٦٥م] – كما جاء في رواية المؤرخ المسيحي ابن العبري – حاصر نيقيفور المصيصة حتي دوخها ثم أحدث فيها [مذبحة عظيمة] وقبض علي مائتي ألف رجال ونساء وفتيان وسيرهم إلي بلاد الروم][٣]

وفي سنة [٣٥٤هـ /٩٦٥م] استولي [نيقيفور ملك الروم على الثغور ونزل علي طرسوس فسلمها إليه من كان بها علي الأمان والصلح ، فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الإسلام وأقام نفر يسير علي الجزية ، وخربت المساجد ، وأحرق نيقيفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله ولم تزل طرسوس بيد النصارى إلى هذه الغاية أي سنة [٦٢٣هـ /١٢٢٦م] كما جاء في رواية [كي لسترنج] .[٤]

---

[١] ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٦١-٦٢

[٢] البداية والنهاية ، ج١١ص٣٢٣

[٣] تاريخ الزمان ، ص٦٤

[٤] بلدان الخلافة الشرقية ، بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرئاسة – بيروت –

ويقول المؤرخ المسيحي ابن العبري عن نيقيفور إنه حول مسجد طرسوس إلى اصطبل لدوابة ، وأقام لها بطريقاً مع خمسة آلاف فارس ونصب بطريقاً ثانيا في المصيصة] [١]

وفي سنة [٣٥٧هـ /٩٦٨م] ، سبي الروم من ضواحي أنطاكية الإسلامية [اثني عشر ألفاً من رجال ونساء وفتيان وفتيات] كما يذكر ابن العبري [٢] ، وذكر ابن كثير أنهم قتلوا خلقاً من حواضرها [٣] .

وفي سنة [٣٥٨هـ / ٩٦٩ م] ، عاث الروم في الأرض فساداً وحرقوا حمص وأفسدوا فيها فساداً عريضاً ، وسَبوْا من المسلمين نحوا من١٠٠ألف إنسان][٤]

وفي [٣٥٩هـ / ٩٧٠م] دخل ملك الروم إلي طرابلس فأحرق كثيراً منها وقتل خلقاً ، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها منها لشدة ظلمه ، فأسرته الروم واستحوذوا علي جميع أمواله وحواصله ، وكانت كثيرة جداً ، ثم مالوا علي السواحل فملكوا ثمانية عشر بلداً سوي القري وتنصر خلق كثير علي أيديهم ... وجاءوا إلى حمص فأحرقوا ونهبوا وسبوا ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد ويأسر من قدر عليه ، وصارت له مهابة في قلوب الناس ثم عاد إلي بلده ومعه من السبي نحو ١٠٠ألف مابين صبي وصبية] [٥].

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

[١] تاريخ الزمان ، ص٦٤ .

[٢] السابق ، ص٦٥

[٣] البداية والنهاية ، ج١١ص٣٣٩

[٤] السابق ، ج١١ص٣٤٠

[٥] البداية والنهاية ، ج١١ص٣٤٣

وفي سنة [٣٦٢هـ/٩٧٢م] زحف الدمستق . كما يقول ابن العبري . في جيشه إلي نصيبين وقتل خلقا كثيراً وظل٢٢يوماً يسبي ويغزو ويخرب [١] .

وفي إحدي مراحل الاعتداءات التاريخية علي العالم الإسلامى . ق [١٠هـ/١٦م] قام الغرب . كما يقول المؤرخ العالمي توينبي . [بتطويق الإسلام عن طريق إخضاع المحيط ، فالطواف بحراً حول إفريقيا قد مكن ملاحي البرتغال الغربيين من الوصول إلي الساحل الغربي للهند قبل مجئ المغول إليها براً من أواسط أسيا ببضع سنين ، وكان هؤلاء أخر موجة من غزاة الهند المسلمين . كما أن عبور الأسبان المحيطين الأطلسي والهادي عن طريق المكسيك قد فتح في جزائر الفلبين جبهة جديدة في جنوب شرق أسيا بين عالم مسيحي غربي وإسلام كانا حتى ذلك الوقت جارين فقط علي الجانب الآخر من الكرة الأرضية ، أي في وادي نهر الدانوب وغرب البحر الأبيض المتوسط . وقبل نهاية القرن السادس عشر كان الغرب في الواقع قد ألقي الحبل حول عنق الإسلام بفضل إخضاعه المحيط . ولكنه لم يجسر علي شد الحبل وتضييق الخناق علي الإسلام حتى القرن التاسع عشر.ذلك أن تلك الذكريات الدائمة عن شجاعة المسلمين الحربية عند الجانبين قد أبقت علي حذر الغرب ورضاء المسلمين عن أنفسهم حتى ذلك التاريخ المتأخر] [٢]

تقسيم العالم بين القوي الأوربية .

وفي مرحلة تاريخية تالية قام الغرب – ممثلاً في قوتين منه . بتقسيم العالم المكتشف فيما بين نهاية ق١٥وبداية ق١٦م ، وذلك من خلال معاهدة توردیسیاس ففي [٧ يونيو ١٤٩٤] قام ممثلو ممالك البرتغال وقتشالة القديمة بالتوقيع في

[١] تاريخ الزمان ، ص٦٧

[٢] العالم والغرب ، ت روفائيل جرجس ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٥٢ ص٢٤.

توردیسیاس ، وهي ناحية صغيرة في قشتالة القديمة ، تحت رعاية البابا ألكسندر السادس بورجيا ، علي معاهدة تسمح بتقسيم العالم فيما بينهم أوعلي الأقل تقسيم الاكتشافات الأخيرة أو المستقبلة خارج أوربا وفي ذلك الحين كانت الممالك الأوربية الكبرى الأخرى خارج اللعبة . فقد كانت انجلترا تكافح بصعوبة للخروج من الحرب الدينية المسماة [الوردتين] كما كانت فرنسا متورطة في حروب مع إيطاليا ، ولا تملك الإمبراطورية المقدسة الرومانية الجرمانية أية إمكانية بحرية ، في حين كانت الدولتان الآيبيريتان هما الأكثر تقدماً في سياق الاكتشاف الكبيرة..] [١]

ويقول ج . بروها J.Bruhat إن البابا الكسندر السادس أصدر مرسوم تقسيم الأراضي المكتشفة والتي سيتم اكتشافها بين إسبانيا والبرتغال ، يوم ٣ /٥ /١٤٩٣م ، وذلك لكي يتم تمجيد العقيدة الكاثوليكية والديانة المسيحية وتنتشر في كل مكان ... ولكي تتم السيطرة علي الأمم المتوحشة وإخضاعها للإيمان !! [٢]

وبعد ما يزيد علي ثلاثة قرون قام الغرب بجولة أخري لتقسيم العالم فيما بينه بواسطة ما سمي ب [الحلف المقدس] .

يقول لوران هنينجر : في عام١٨١٥م تم تقسيم العالم من خلال مؤتمر فيينا بعد هزيمة نابليون الأول ، وأطلق عليه [الحلف المقدس] [٣]

وهذا يأتي في إطار منهج الغرب الاستعماري للعالم الإسلامي وغير الإسلامي وهذا يفصل ويؤكد الغريزة العسكرية والسياسية ، بل والدينية ، لدي الغرب

---

[١] مقال لوران هنينجر بعنوان [العام١٤٩٤هو العام رقم١ في العولمة] ، مجلة الثقافة العالمية – الكويت – نوفمبر/ديمبر ٢٠٠٠ ، عدد١٠٣ص٣٣

[٢] عن د. زينب عبد العزيز : أبجدية الحوار بين الحضارات ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة١٩العددان [٧٣-٧٤] ص٩٩

[٣] مجلة الثقافة العالمية ، نوفمبر ٢٠٠٠ ، عدد١٠٣ ، ص٣٤

المسيحي في الصدام بالآخر ، فالمسلمون نالهم من شر هذه الغريزة الكثير فاضطروا إلي الاصطدام بها.

وفي مرحلة التاريخ الحديث ق [١٣-١٤ هـ /١٩ – ٢٠م] قام الغرب بعدوان تاريخي كبير علي الإسلام والمسلمين ، فاحتل جميع البلدان الإسلامية – تقريبا – لمدد زمنية طويلة تصل إلي أكثر من ١٣٠سنة في بعض الدول كالجزائر وقد ترتب علي هذا العدوان التاريخي :

١- قتل الملايين من الشعوب .

٢- تقسيم بعض البلدان وترسيم حدود تثير الخلاف المستمر بين تلك البلدان .

٣- نهب ثروات البلدان .

٤- تغريب الكثير من الشعوب فكراً وسلوكاً مما كان له أثره البالغ علي هوية تلك الشعوب وقيمها .

وفيما يأتي جدول يبين حجم الاستعمار في البلدان الإسلامية ومدته الزمنية في القرنين [١٩. ٢٠ م]

الدولة	الدولة المحتلة	تاريخ الاحتلال	مدة الاحتلال بالعام	ملاحظات
مصر	فرنسا انجلترا	١٧٩٨ – ١٨٠١ م ١٨٨٢ – ١٩٥٤ م	٣ ٧٢	
ليبيا	ايطاليا	١٩١١ – ١٩٤٧ م	٣٦	
تونس	فرنسا	١٨٨١– ١٩٥٦ م	٧٥	
الجزائر	فرنسا	١٨٣٠ – ١٩٦٢ م	١٣٢	
المغرب	فرنسا واسبانيا	١٩٠٧ – ١٩٥٦ م	٤٩	وقد احتلت أسبانيا مليلة عام ١٤٩٧م، وسبته عام ١٦٤٠م
موريتانيا	فرنسا فرنسا	١٩٠٣ . ١٩٢٠ م ١٩٢٠ . ١٩٦٠ م	١٧ ٤٠	– محمية فرنسية – احتلال
السودان	انجلترا	١٨٩٨ . ١٩٥٦م	٥٨	
الصومال	انجلترا	١٨٨٤ . ١٩٦٠م	٧٦	بريطانيا ١٨٢٧، وإيطاليا ١٩٣٦، وفرنسا ١٨٨٤
جيبوتي	فرنسا	١٨٨٤ . ١٩٧٧ م	٩٣	
جزر القُمر	فرنسا	١٨٤٣ . ١٩٧٥م	١٣٢	
فلسطين	بريطانيا بريطانيا الكيان اليهودي	١٩١٧ . ١٩٢٠ م ١٩٢٠ . ١٩٤٨م ١٩٤٨– حتى الآن	٣ ٢٨ ٦٥	حكم عسكري انتداب احتلال
سوريا	فرنسا إسرائيل	١٩٢٠ . ١٩٤٦ م ١٩٦٧ . الآن	٢٦ ٤٦	احتلال احتلال الجولان
لبنان	فرنسا	١٩١٨ . ١٩٤٦ م	٢٨	احتلال
الأردن		١٩٢١ . ١٩٦٧ م	٤٦	
اليمن	بريطانيا	١٨٣٩ . ١٩٦٧ م	٢٨	
الكويت	بريطانيا	١٨٩٩ . ١٩٦١ م	٦٢	

الدولة	الدولة المحتلة	تاريخ الاحتلال	مدة الاحتلال بالعام	ملاحظات
البحرين		١٨٦١ . ١٩٧١ م	١١٠	
الأمارات	بريطانيا	١٨١٩ . ١٩٧١ م	١٥٢	
قطر	بريطانيا	١٩١٦ . ١٩٧١ م	٥٥	
سلطنة عمان	بريطانيا	١٧٩٨ . ١٩٥١ م	١٥٣	
العراق	بريطانيا أمريكا	١٩١٤ . ١٩٥٨ م ٢٠٠٣ . ٠٠٠٠٠	٤٤ ١٠	

حجم الاستعمار الأوربي في العالم في القرنين [١٩ ــ ٢٠ م]

وفي إطار مرحلة استعمار الغرب للعالم . بما فيه العالم الإسلامي في القرنين[١٩ . ٢٠ م] تم تقدير حجم هذه المرحلة الاستعمارية ومقارنتها بحجم المستعمر الغربي ، بما أكد شراهة وطغيان هذا المستعمر في منهجه الاستعماري .

يقول صموئيل هنتنجتون في سنة ١٨٠٠م كانت المستعمرات الأوربية ، أو الأوربية سابقاً ، في أمريكا تسيطر علي ٣٥% من مساحة الأرض ، وفي سنة ١٨٧٨م علي ٦٧% ، وفي سنة١٩١٤علي٨٤% ، وفي سنة١٩٢٠م كانت النسبة ما تزال مرتفعة حيث تم تقسيم الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا.

وفي سنة١٨٠٠م كانت الإمبراطورية البريطانية تتكون من ١.٥مليون ميل مربع و٢٠ مليون نسمة . وفي سنة١٩٠٠ كانت الإمبراطورية الفيكتورية التي لم تغرب عنها الشمس تضم ١١مليون ميل مربع و٣٩٠ مليون نسمة [١]

كما أوضح الجغرافي ا.سوبان A. Supan في كتابه[التطور الإقليمي للمستعمرات الأوربية] خلاصة هذا التطور في نهاية القرن التاسع عشر بالشكل

[١] صدام الحضارات ، ص٨٤

الآتي: [١]

النسبة المئوية لممتلكات الدول الأوربية الاستعمارية العظمي بالإضافة إلى الولايات المتحدة.

	١٨٧٦	١٩٠٠	الزيادة أو النقص		١٨٧٦	١٩٠٠	الزيادة أو النقص
إفريقية	١٠.٨	٩٠.٤	+ ٧٩.٦	استراليا	١٠٠	١٠٠	-
بولننزيا	٥٦.٨	٩٨.٩	+ ٤٢.١	أمريكا	٢٧.٥	٢٧.٢	_ ٠.٣
أسيا	٥١.٥	٥٦.٦	+ ٥.١				

أما هوبسون في كتابه الاستعمار [Imperialism] فيجعل فترة اشتداد الحركة الاستعمارية بالنسبة إلي الدول الرئيسة فيما بين عامي١٨٧٤ – ١٩٠٠ م كالأتي [٢]

	مساحة ما حصلت عليه		عدد سكانها	
بريطانيا	٣.٧٠٠.٠٠	من الأميال المربعة	٥٧.٠٠٠.٠٠٠	من الأنفس
فرنسا	٣.٦٠٠.٠٠٠		٣٦.٥٠٠.٠٠٠	
ألمانيا	١.٠٠٠.٠٠٠		١٦.٧٠٠.٠٠٠	
بلجيكا	٩٠٠.٠٠٠		٣٠.٠٠٠.٠٠٠	
البرتغال	٨٠٠.٠٠٠		٩.٠٠٠.٠٠٠	

إنها لمفارقة من الجغرافيا مثيرة أن يستطيع مليونان ومائتا ألف ميل مربع هي كل مساحة غرب أوربا أن تنشر نفوذها وظلها وأن تفرض استعمارها علي أكثر من سبعة وخمسين مليون ميل مربع هي مساحة العالم المعمور وغير المعمور ، وذلك في أقل من خمسمائة عام ، ولا تقل غرابة عن ذلك جزئيات الصورة : فغداة

[١] د.راشد البراوي : الاستعمار .. أعلي مراحل الرأسمالية ، ص٨ .

[٢] السابق ، ص٨٨

الحرب الأخيرة كانت بريطانيا تملك قدر مساحتها ١٤٢ مرة ، وفرنسا ٢٢ مرة ، أما هولنده فنحو ٥٧ مرة ، وبلجيكا ٥٠ مرة ، وايطاليا ١٩ مرة [١]

وبالنسبة لإفريقيا . مثلاً . وعقب مؤتمر برلين تحدد كل شي في عقد واحد، ففي سنة ١٨٩٣م كانت كل القارة قد قتسمت بين القوي الأوربية ، وانخفضت نسبة المساحة المستقلة في إفريقيا من ٩٥ % في ١٨٧٥م إلي ٨% في ١٩١٠.[٢]

وحتى عام ١٩٥٠م كانت المساحة المستقلة من القارة عدا اتحاد جنوب إفريقيا تتألف من دولتين فقط هما إثيوبيا وليبريا وبذلك لا تزيد عن ٤٣٨ ألف ميل أو ٤.٥% من مساحة القارة و٨%من السكان [٣]

وقد مر استعمار إفريقيا بمرحلتين أساسيتين : الأولي طويلة امتدت نحو ثلاثة قرون من [١٥١٦إلي ق١٩] وهي مرحلة الاستعمار الساحلي . والمرحلة الثانية عقب مؤتمر برلين ، حيث دخل الاستعمار قلب القارة ، وبدأ يستعمر الأرض لا الإنسان فحسب ، فحل الاستعمار الجغرافي محل الديموجرافي[٤]

التحـرير .

ولكن ما فعله المستعمر الغربي في البلدان وشعوبها ، جعل تلك الشعوب تؤثر الموت الكريم علي العيش الذليل ، فهبت ثائرة واستجاشت عزيمتها وما تملك وقدمت مئات الآلاف من أفضل رجالها في حروب تحريرية امتدت سنوات نالت بعدها حريتها وكرامتها.

إن ما بناه الاستعمار في خمسة قرون هدمه التحرير في عقدين اثنين ،

---

[١] د. جمال حمدان : إستراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص٢٧١

[٢] السابق ، ص٢٦

[٣] د.جمال حمدان : إفريقيا الجديدة ، ص٤٢

[٤] د.جمال حمدان : إستراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص٢٤-٢٥

فبين ١٩٤٥ ، ١٩٦٥ هوت رقعة الاستعمار من ٣٥% من مساحة العالم الي٤% أي أن معدل سرعة المد التحريري يعادل عشرات أضعاف معدل الزحف الاستعماري ، حتى قيل إن الاستعمار إذا كان قد أتم مشرقه في ساعات فقد عبر خط الزوال وشهد شفقه وغسقة ثم غروبه في دقائق معدودات . وبينما أتي الاستعمار في موجتين كبيرين لكل منهما بدوره ذبذباته الثانوية ، جاء التحرير في موجة واحدة طاغية كاسحة . وإذا كان البعض قد تحدث في هذا الصدد تقليلا في الحقيقة عن [رياح التغيير] فأولي بنا أن نقول إعصارا أو هاريكين [١]

وفي إفريقيا تم تحرير ٨٥.٥%من مساحة القارة ، و٩٣%من عدد سكانها بين سنتي ١٩٥٠ . ١٩٦٥ [٢]

من جرائم الاستعمار

أما عن الجرائم التاريخية للاستعمار فهي من القسوة والضخامة ما يجعل أثرها لا يمحي من واقع الشعوب ولا من ذاكرتهم.

وفيما يأتي نماذج من تلك الجرائم الكبرى التي قام بها المستعمر الغربي في قارات العالم المختلفة – بما في ذلك العالم الإسلامي والتي شملت كل شي من بشر وأرض وثروة.....الخ

ومن ذلك الإبادات البشرية ، كما حدث مع الهنود الحمر في الأمريكتين ، وقتل ملايين من السكان كما حدث في الجزائر والهند وغيرهما ، وتحويل هؤلاء السكان إلي عبيد يتاجر فيهم ويستغلون في مختلف حاجات المستعمر كما حدث مع سكان غرب أفريقيا.

كذلك نَهبُ الثروات وتخريب الأراضي وإحداث مجاعات كبري ، وأيضاً قام

[١] د.جمال حمدان : إستراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص٢٢٣

[٢] د.جمال حمدان : إفريقيا الجديدة ، ص٤٢-٤٦

المستعمر بتغريب مكونات الهوية القومية للشعوب ، ومحاولات طمس حضارتهم وإحداث انفصام تاريخي في مسيرتهم .

فالجزائر مثلا تم احتلالها من قبل فرنسا ١٣٢سنة [١٨٣٠. ١٩٦٢م] وتم قتل عدد كبير من سكانها قُدَر بمليون إنسان ، وذهبت بعض التقديرات إلي عدد أن القتلي الجزائريين وصل إلي ٨ مليون [١]

أما حرب التحرير الجزائرية مع الفرنسيين – حرب السبع سنوات[١٩٥٦ . ١٩٦٢م] فقد كلفت الجزائر في . بعض التقديرات – مليونا ونصف مليون من الشهداء[٢]

كذلك قامت فرنسا باستغلال أراضي الجزائر القابلة للزراعة كعادة المستعمر ، وكما يذكر – ثلاثة من المؤرخين المشهورين – جسل ومارسيه وايفر – في كتابهم [تاريخ الجزائر] ، إن مجموع مساحة الأرض المستعمرة التي انتقلت إلي أيدي المستعمرين في الجزائر يبلغ ١.٦٠٠.٠٠٠ هكـ٢ أي الأراضي القابلة للفلاحة [٣]

كذلك استخدمت فرنسا الصحراء الجزائرية لتجاربها النووية ، وهو ما يمثل خطورة بالغة علي المكان والبشر لأزمنة مديدة .

كذلك قامت فرنسا بعملية فرنسة ثقافية ولغوية وإيديولوجية واسعة في الجزائر حتى رأينا الكثير من الجزائريين يصوتون مع بقاء الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عند الاستفتاء علي إنها الاحتلال .

وفي الهند [جاء في إحصائية اللورد [كورنواليس] الحاكم العام للهند :

---

[١] د.عبد الحليم عويس : عن مجلة الأزهر ، جمادي الآخرة١٤٢٧هـ

[٢] د.جمال حمدان : إستراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص٢٧٩

[٣] محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، ص٣٥٨

[إنه يستطيع التصريح – بكل تأكيد – أن ثلث أراضي هندوستان تحولت الآن إلي غابة تقطنها الحيوانات المفترسة"وكان القانون العقاري الدائم سنة ١٧٩٣م الذي قسم الهند أربع مناطق كملكيات خاصة ، فأتاح الفرصة لسلب الأراضي التقليدية الريفية من الفلاحين ، هذا القانون وتلك السياسة كانا السبب الرئيسي في مجاعة الهند الأولي ، حيث وقع مليون قتيل بين عامي١٨٠٠ ، ١٨٢٥، وأكثر من خمسة ملايين بين ١٨٥٠م وسنة١٨٧٥ ، فتم القضاء علي الاقتصاد الزراعي المعيشي في الهند ، وتلاه انهيار صناعة النسيج ، حتي تحولت الهند إلي مستورد للأقمشة من مانشستر الإنجليزية في المدة بين سنة ١٨١٤ ، وسنة ١٨٣٤ [١]

وبالنسبة للصين ، ذكر لوبون أن صلات الغرب بالشرق في القرن التاسع عشر كانت من أشوه صفحات التمدن ، قال : وماذا يقول الناس في مستقبل الأيام في هذه الحرب الطاحنة التي شهرها الإنجليز علي الصين لحملوها بالقوة علي استعمال الأفيون ، فيهلك من الصينيين كل سنة ستمائة ألف إنسان ، لتربح إنجلترا من هذه التجارة الممقوتة مائة وخمسين مليوناً ؛ ومن جهة ثانية يرسل البريطانيون إلي الصينيين دعاة التبشير ليهدوا بنيها إلي الفضائل ، فيقول الصينيون للمبشرين : إنكم تسمموننا وتهلكوننا وتأتون بعد ذلك لتعلمونا الفضيلة [٢]

وقد ابتليت القارة الإفريقية بالاستعمار الديمجرافي فضلاً عن الجغرافي ، ويعد هذا للاستعمار – في تقدير البعض ـ استعباداً واستغرابا ، لأنه كان تزيفا بشرياً رهيبا ، ففي القارة الإفريقية ـ مثلا ـ أصاب هذا الاستعمار القارة – كما يقول أحد

[١] جاء هذا في كتاب [الإرهاب الغربي] لروجية جارودي ، عن د. إبراهيم عوضين أثناء عرضه لهذا الكتاب ، مجلة الأزهر ، عدد ص٩٧٢

[٢] عن محمد كرد علي : الإسلام والحضارة الغربية ، ص٣٦٦

الجغرافيين . بفقر الدم والضمور ، حيث انتزع نحو ١٠٠ مليون من أبنائها بما في ذلك من نقل حيا ومن مات في الطريق. [١]

ويعد هذا – كما يري julian Huxley . أعظم موجة في حركة السكان في التاريخ القديم أو الحديث ، لأن أضخم هجرة وهي خروج الأوربيين إلي القارات الجديدة من ١٨٢٠ . ١٩٢٠ لم يتجاوز ٦٠مليون. [٢]

وعلي هذا قامت أوربا المسيحية بأكبر مشروع تجاري في التاريخ تخصص في استرقاق البشر والتجارة فيهم واستغلالهم في نواحي كثيرة ، ومع الاتفاق أن العدد الحقيقي لحجم هذه التجارة من البشر غير معروف لأسباب كثيرة إلا أن هناك تقديرات مختلفة عن هذا العدد ، تتفق جميعها في أنها تتخذ [المليون] وحدة عد لها ، وفي هذا مؤشر قوي عن ضخامة هذه الأعداد.

ففي بعض التقديرات يتراوح العدد بين [٣- ٢٠] مليونً [٣] وفي تقدير أخر قارب العدد [١٤] أو [١٥] مليون [٤]

وفي تقدير البروفيسور دي كيرتين – phihip D gurtin الذي استند إلي واقع البيانات المتوفرة في أوربا والأمريكتين ، كان عدد العبيد الذين وصلوا إلي أوربا وجزر الأطلنطي١٧٥.٠٠٠ ، والذين وصلوا إلي الأمريكتين ٩.٢٩٨.٠٠٠ [٥]

---

[١] د. جمال حمدان : إفريقيا الجديدة ، ص٢٤.

[٢] السابق : ص ٢٥ .

[٣] دونالدل. وايثر : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ت علي أحمد فخري وآخر ، مؤسسة سجل العرب – مصر – ١٩٧٦ ، ص٦٥

[٤] فيج. جي. دي : تاريخ غرب إفريقيا ، ت د.السيد يوسف نصر ، دار المعارف – مصر – ١٩٨٢ ، ص٧١

[٥] فيج. جي. دي : تاريخ غرب إفريقيا ، ص٧٣

أما الذين نقلوا من إفريقيا فبلغ عددهم ١١.٣٦٠.٠٠٠ [١]

[والحق . كما يقول المؤرخ الأوربي فيشر . إنها لوصمة مروعة ، وتعقيب شائن علي أثر الحضارة المسيحية ، أن أطول حقبة عرفها التاريخ لنفاق تجارة الرقيق هي التي بدأتها دول أوربا الغربية : اسبانيا ، والبرتغال ، وفرنسا ، وهولندا ، وبريطانيا ، بعد أن كان قد مضي أكثر من ألف عام علي توطيد دعائم المسيحية فيها . وإنها لوصمة أخطر ولطخة أدنس علي المسيحية ، أن الاسترقاق الحديث كان أسوأ مظهراً ، وأقسى روحاً وأعظم شقاء من الاسترقاق القديم] [٢]

وفي الأمريكتين حدثت إبادة جماعية لسكانها من الهنود الحمر ، وتختلف التقديرات عن عدد الهنود الحمر عند اكتشاف أمريكا . أقل تلك التقديرات يشير إلي ٨.٤ مليوناً ، بينما التقديرات الأخرى تشير إلي أرقام أعلي بكثير ربما تصل إلي ١١٢مليوناً ويميل العلماء إلي الأخذ بالتقديرات الأعلى اقتناعاً منهم بأن الأمراض الوافدة مع الغزاة الجدد [كالجدري ، لحصبة الدفتر يا ، السعال الديكي الأنفلونزا وربما الحمى الصفراء والملاريا] ، وهي الأمراض التي لم يعرفها العالم الجديد قبل غزوة الرجل الأبيض ، تكلفت بقتل مالا يقل عن ثمانين مليوناً من الهنود . بعيداً عن نظرية الأمراض الوافدة ، فإن الحروب الهندية من أكثر الصفحات دموية في التاريخ الأمريكي ، وهي الحروب التي بدأت فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٥٤٠ عندما اصطدم الغازي الأسباني [فرنشسكو فاسكويز دي كورونا دو] بمحاربي الزوني Zuni، وانتهت رسمياً بعد ثلاثة قرون ونصف عام١٨٩٠ بعد أن اكتسحت فرق الفرسان الأمريكية مقاتلي

[١] السابق ، ص٧٤.

[٢] تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، ت أحمد نجيب هاشم وآخر ، دار المعارف – مصر– ١٩٨٤م ، ص٣٥١

السيوكس [١]

يقول تودوروف : [إن عدد سكان الأرض في عام ١٥٠٠ لابد وأنه يبلغ نحو ٤٠٠ مليون نسمة ، يسكن ٨٠ مليوناً منهم القارتين الأمريكيتين . وبحلول أواسط القرن السادس عشر ، يتبقي من هذه الملايين الثمانين عشرة ملايين.أما إذا قصرنا حديثنا علي المكسيك ، فإن عدد سكانها عشية الفتح ، بلغ نحو ٢٥ مليون نسمة ، بينما بلغ في عام ١٦٠٠م مليون نسمة . وإذا كانت كلمة إبادة قد استخدمت استخدما دقيقا في الحديث عن حالة ما ، فهذه الحالة هي تلك التي نتحدث عنها؛فهذا رقم قياسي ، ليس فقط من الناحية النسبية [تدمير بنسبة ٩٠ % وأكثر] ، وإنما من الناحية المطلقة أيضاً ،لأننا نتحدث عن انخفاض لعدد السكان يقدر بـ٧٠ مليون إنسان . ولا يمكن أن تقارن مذبحة من مذابح القرن العشرين الكبرى بهذه المجزرة[٢]

وتذكر بعض التقارير أن عدد الهنود الحمر في منطقة الولايات المتحدة عام [١٤٩٢م] كان [٥] مليون ، ثم انخفض هذا العدد إلي [٢٥٠.٠٠٠] في العقد[١٨٩٠ . ١٩٠٠م] ، ورغم أن هناك أسباب يعزوها البعض إلي هذا التراجع إلا أن عامل الوفيات كان له الأهمية القصوى في هذا التراجع [٣]

وكان الهنود يعاملون بوصفهم أدني مرتبة من البشر: إن لحمهم يستخدم في إطعام الهنود الباقين أو حتى الكلاب ؛ ويجري قتلهم من أجل انتزاع شحمهم ،

---

[١] مقال فليب عطية بعنوان : القصة الحقيقية للهمجية ، مجلة القاهرة – مصر – عدد فبراير ١٩٩٣ ، ص٧٠-٧١

[٢] تزفيتان تودوروف : فتح أمريكا.. مسألة الآخر، ت بشير السباعى ، سينا للنشر – مصر- ١٩٩٢م ، ص١٤٣

[١] pussell thormton : American indian holocaust and surwivel ، unversity of oklahoma press.norman and London.1987.p.43-44

الذي يسود الاعتقاد بأنه يساعد علي علاج جراح الأسبان : وبهذا يجري معاملتهم معاملة بهائم الذبح ؛ ويجري بتر جميع الأطراف ، الأنف ، الأيدي ، الأثداء. اللسان ، العضو التناسلي ، بما يؤدي إلي تحويلهم إلي جذوع مشوهة كما لوكان يجري تقليم شجرة ويجري اقتراح استخدام دمهم لري البستان ، كما لو كان ماء جدول ، ويذكر لآس كاساس أن ثمن امرأة – أمة . يزيد تبعاً لما إذا كانت حبلي أم لا، تماما كما هو الحال بالنسبة للبقرات . هذا الرجل الضائع يتبجح بلا حياء أمام رجل دين جليل ، بأنه فعل كل شي من أجل تحبيل كثيرات من النساء الهنديات بما يسمح بالحصول على أحسن سعر عند بيعهن حبالي كإماء [١]

وهذه عبارة مختصرة كتبها عام١٧٩٠م [هيو براكزدج] لا تحتاج إلي تعليق : بعض الملاحظات فيما يخص الحيوانات المسماة ابتذالا : هنوداً !! ما الفائدة التي يفدونها للأرض هؤلاء المواشي المزينون بالأقراط والريش والبقع واللطع ؟ هل يفلحونها ؟ قال الوحي الإلهي للإنسان : أنت ستفلح الأرض [هذه هي وحدها الحياة الإنسانية] [٢]

ولم تقصر جرائم المستعمر الأوربي علي إبادة البشر في الأمريكيتين ، بل شملت إبادة الحيوان ، ومن ذلك إبادة الثيران الأمريكية الجاموس.

فقصة انقراض الثيران الأمريكية التي يطلق عليها الجاموس أو البسون [Bison bisonF] بلغت من الشناعة الحد الذي أصبحت فيه مثالا كلاسيكيا علي تدمير الإنسان للبيئة الحيوانية في مراجع علم الحيوان ، بالإضافة إلي تدمير الهنود أيضاً.عندما أنشئت أول مستعمرة بريطانية في فرجينيا وماساشوسيتس ، كان هناك حوالي ستين مليوناُ من هذه الثيران ، وفي حين ازدهرت الحضارة الهندية

[٢] تودوروف : فتح أمريكا ، ص١٤٩

[٣] مقال لـ فليب عطيية ، سبق ذكره ، ص٧٢

التي اعتمدت علي الثيران ؛ في القرنين السابع والثامن عشر في السهول ، كان التقدم السريع تجاه الغرب للرواد في شرق أمريكا مصحوباً بانقراض الثيران ففي عام١٨١٠م لم يتبق أي ثور شرق المسيسبي وعندما ارتحل "بار كمان" عام١٨٤٦، ، وعبر ممر الاوريجون كانت الثيران تتواجد فقط في السهول والجبال الغربية وكان يوجد منها حوالي٣٠ مليوناً ، وقد بدأ الفصل الأخير في المذبحة الكبري للثيران في منتصف القرن التاسع عشر ...، وبلغت عمليات القتل ذروتها في أوائل عام ١٨٧٠عندما كان يقتل حوالى أربعة ملايين ثور كل عام ساهم ألاف الجنود في هذه المذبحة إذ كانت تصدر إليهم الأوامر بقتل الثيران وذلك لإجاعة هنود السهول. اعتقلد المسئولون السياسيون أن عمليات الإبادة هذه وسيلة ناجحة لحرمان هنود السهول من أهم مستلزمات الحياة [١]

فرض النموذج الغربي .

ثمة صورة أخرى للاحتلال تؤدي الجزء الأكبر . على الأقل . من مقاصده ، هذه الصورة هي تطبيق منهج المحتل بأبعاده المختلفة ، وهذا المنهج يكون بديلاً للاحتلال المسلح لعجز هذا الاحتلال عن فرض نفسه على الأرض ، أو فشله في تحقيق مقاصده لكونه عدواً ظاهرا يقاوم ويستعدى ، أما الصورة الأخرى لهذه الاحتلال فهي أقوى وأثبت وأكثر تأثيراً في تحقيق مقاصده ، لأنها تطبق بآلية ذاتية داخلية ، سياسية وشعبية .

وهي الصورة التي يتبني الغرب تطبيقها على غيره وخاصة على العالم الإسلام والعربي ، ويخصصون لها إمكانيات مادية ومعنوية بالغة ، ويسوق لها ساستهم ومؤرخوهم وكتابهم ، بل يجعلونها السبيل الوحيد أمام من يريد اللحاق بركب الحضارة ومحاكاة تقدم الغرب .

[١] مقال لـ فليب عطيية : السابق ، ص٧٠

وقد حرص الغرب . وما زال . على تطبيق هذا المنهج في العالم الإسلامي بكل الوسائل الممكنة ، بما في ذلك الوسائل الجبرية في بعض الأحيان وفي سياقات مختلفة .

دلائل تاريخية على محاولات تطبيق النموذج الغربى .

وفيما يأتي دلالات تاريخية ذات حجية عالية ، تستمدها من مصادرها التي يعتبر بعضها صانعاً للأحداث ، أو شاهداً من أهلها .

تصنف ريتشارد نيكسون . الرئيس الأمريكي الأسبق . في كتابه [الفرصة السانحة] تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم في العالم الإسلامي إلي ثلاث قوى :[١]

١. التقدم : التي تأخذ بالعلمانية والانحياز للغرب ، ونموذجه الحضاري ومثالها . بتعبيره – [نموذج تركيا في انحيازها نحو الغرب والتحضر وسعيها إلي ربط المسلمين بالعالم المتحضر – الغرب . من الناحية السياسية والاقتصادية].
٢. الرجعية : الديكتاتورية ونموذجها عنده عراق البعث وصدام حسين .
٣. الأصولية الإسلامية ، وهو يعاديها لأنها ترفض الغرب ، وتسعى لبعث الحضارة الإسلامية ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، والمناداة بأن الإسلام دين ودولة. يقول : هم [الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب ، وهم مصممون علي استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي ، ويهدفون إلي تطبيق الشريعة الإسلامية ، وينادون بأن الإسلام دين ودولة . وبالرغم من أنهم ينظرون إلي الماضي فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل ، فهم ليسوا محافظين ، ولكنهم ثوار] .

وبعد أن يتساءل : أي هذه النماذج سيختار العالم الإسلامي المتقلب ،

[١] عن . محمد عمارة : الغرب والإسلام ، دار نهضة مصر. القاهرة .٢٠٠٥ ، ص٤٥

وغير المستقر يقول : [إن الإجابة علي هذه الأسئلة ستكون لها ردود فعل خطيرة في العالم ؟! وسوف تلعب السياستان الأمريكية والغربية مع المسلمين دوراً رئيسيا في الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة] يقول د.عمارة هم الذين يحددون لنا الخيار ومع ذلك ينسبون لنا هذا الاختيار ![١]

ومن ذلك أيضاً شهادة "جياني ديميكليس" –السياسي الايطالي البارز لا بوصفه فقط وزير خارجية إيطاليا..فلقد كان يتولي ، عندما قال ما قال ، رئاسة المجلس الوزاري الأوربى ! فلقد سأله مراسل مجلة [لنيوزويك] الأمريكية :

ما هي مبررات بقاء حلف الأطلنطي [الناتو] بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والمعسكر الذي كان اشتراكيا ؟ "

فأجاب رئس المجلس الوزاري الأوربي : [صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة ، إلا أن ثمة مواجهة أخري يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي] .

فلما عاد مراسل " لنيوزويك" ليسأل : وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتلة؟

لم يتردد "جيباني ديميكليس" في أن يعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضاري الغربي وقبول المسلمين له ؛ فقال ينبغي أن تحل أوربا مشاكلها ، ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكانا في منتهي الخطورة[٢]

---

[١] د. محمد عمارة : الغرب والإسلام ، ص٤٦

[٢] الأهرام ، عدد ١٧ يوليو سنة ١٩٩٠ ، من مقال فهمي هويدي [من يعادي مق ؟] وهو ينقل عن عدد النيوزويك الصادر بتاريخ ٢ يوليو ١٩٩٠ . عن د . محمد عمارة : الغرب

نعم إنه بمثابة إعلان حرب من الغرب علي العالم ، حرب حضارية ، فإما القبول بالنموذج الغربي"وإما أن تتحول المواجهة من قبل حلف الأطلنطى التى كانت مصوبة " لإمبراطورية الشر الشيوعية " إلى العالم الإسلامى المستعصى على العلمنة ، والرافض للنموذج الغربى سبيلا للنهضة والتحديث !! [١]

أما فرانسيس فوكوياما [Francis Fokoyoma] الخبير بوزارة الخارجية الأمريكية فقد كتب كتاباً بعنوان [نهاية التاريخ] نشره في سنة ١٩٨٩م ذكر فيه أن سقوط الشيوعية قد ولد أنطاعا لدى الغرب بأن الليبرالية الديمقراطية قد انتصرت عالمياً ، وإنها تمثل أعلى ما يمكن أن تصل إليه حضارة الإنسان علي الأرض ، ومن ثم فعلي جميع شعوب الأرض الالتزام بها أي بتلك القيم الغربية تحت مسمي العولمة أو النظام العالمي الجديد الذي يريده قادة الولايات المتحدة من السياسيين وسيلة من وسائل فرض نفوذهم وهيمنتهم علي العالم أجمع باعتبارهم أصحاب النموذج الرائد لبني البشر جميعا ، والذين لابد لهم من قبوله شاءوا أم أبوا ؛ وكأن العولمة في نظره هي الحتمية التاريخية الجديدة بعد سقوط شعارات الماركسية ، وانهيار الاتحاد السوفيتي السابق . وهذه الحتمية التاريخية التي ينادي بها السيد فوكوياما تقوم علي ركائز أربع هي الديمقراطية الليبرالية ، التنمية الاقتصادية ، سياسة السوق الحرة ، والاستهلاك أساس التطور. [٢]

كذلك يدعو كاتب أمريكي أخر يدعي ماكسويل تايلور إلي ضرورة التبشير بالنموذج الأمريكي وفرض قيمه علي الآخرين بالقوة تحت مسمي النظام العالمي

والإسلام ، ص ٣٧.

[١] عن محمد عمارة : الغرب والإسلام ، ص٣٧ . ٣٨

[٢] عن د . زغلول النجار: الإسلام والغرب.. فى كتابات الغربيين ، نهضة مصر- القاهرة- ط ٤ ٢٠٠٥م ، ص٢٥ .

الجديد باعتباره النظام الأمثل في نظره وإن عارض ذلك كثيرون ممن نادوا بضرورة تخلي الغرب عن وهم العالمية ، والعمل علي تعزيز وحدة حضارته ، وتماسكها ، وحيويتها ، وذلك بالحفاظ علي الثقافة الغربية [١]

ومن ذلك أيضاً رأي المؤرخ العالمي أرنولد توينبي : إذ يقول [إن أيه مدنية أو أي أسلوب من أساليب الحياة كل لا يتجزأ ، فيه تتماسك كل الأجزاء معاً ويعتمد كل واحد منها على الآخر] [٢] وتأسياً على هذه القاعدة عنده .

يذهب توينبي إلى أن المدنية تعني الأخذ بالأساليب الغربية بكل القلوب والعقول والقوى ، وبشكل كامل لا يتجزأ ، ومن ثم فإنه ينتقد السلطان عبد الحميد انتقاداً شديداً لأنه أراد أن يأخذ من المدينة الغربية ما لا يتعارض مع ثوابت الدولة التركية المسلمة ذات الثقافة والأخلاق الإسلامية ، ويتهمه بأنه [رجعي متطرف ....طاغية] [٣]

ويمجد كثيراً في [كمال أتاتورك الذي حول تركيا تحويلاً كليا إلى أسلوب الحياة الغربية ... فتحرير المرأة ، والفصل بين الدين والدولة ، .....] [٤]

عـداء تاريخـي .

وفيما يخص عدوان الغرب علي الإسلام وأتباعه ، فقد غلب عليه الطابع الديني ، منذ ظهور الإسلام ، واصطلح عليه في بعض مراحله في العصور الوسطي والحديثة – حتى من قبل قادته السياسيين والعسكريين ، وهذا العدوان ذو الطابع الديني – لم ينته فقط بانتهاء الحروب الصليبية المعروفة في العصور الوسطي ،

[١] د . زغلول النجار: السابق ، ص٢٦ .

[٢] أرنولد توينبي : العالم والغرب ، ص ٢٨ .

[٣] السابق ، ص ٢٧ .

[٤] أرنولد توينبي : العالم والغرب ، ص ٣٠ .

بل امتد حتى الوقت الحاضر .

يقول السياسي البريطاني المعاصر أنطواني نانتج في كتابه [العرب] : [منذ أن جمع محمد . صلي الله عليه وسلم – أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع ، وبدأ أول خطوات الانتشار العربي ، أصبح علي العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبه ، تواجهه عبر البحر الأبيض. إن قوي الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربي علي مدي ١٣٠٠ سنة في نهضته وانهياره][١]

ومن الساسة والعسكريين الذين اعترفوا بالطابع الصليبي للعدوان الغربي علي العالم الإسلامي :

- **الجنرال الإنجليزي اللبني [١٨٦١ –١٩٣٦م] الذي قال عندما احتل القدس سنة ١٩١٧م [الآن انتهت الحروب الصليبية] ، وهو لا يعلم أن هناك من سيأتي بعده من عالمه الغربي ويواصل هذه الحرب.[٢]**
- **الجنرال الفرنسي جورو [١٨٦٧ – ١٩٤٦م] ، الذي ركل قبر صلاح الدين الأيوبي بقدمه وقال [ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين] وذلك عندما دخل دمشق[٣]**
- **وزير الإعلام الصربي ، الذي قال عن حرب الصرب في البوسنة والهرسك في بدايات التسعينيات من القرن الماضي – [إنهم طلائع الحروب**

---

[١] إنطونى نتانج : العرب ، ط لندن ١٩٦٤ ، عن الشيخ القرضاوى : فقه الجهاد ، ج٢ ، ص ١٢٥١.

[٢] د. محمد عمارة : الغرب والإسلام ، دار نهضة مصر ، ٢٠٠٥م ، ص ٥–٧.

[٣] د. محمد عمارة : الغرب والإسلام ، ص ٥–٧ .

الصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين][1]

وعندما أعلن بوش [الابن] الحرب علي أفغانستان في ٢٠٠١م ، قال أنها حرب صليبية .

[1] نفس السابق .

تبليغ دعوة الإسلام ومنح حرية العقيدة

كان الاضطهاد الديني هو المنهج المتبع من قبل السلطات الحاكمة تجاه من يخالفها فى العقيدة أو حتى فى المذهب من شعوبها ورعاياها فى الإمبراطوريات التى احتلت البلدان واستعبدت الشعوب لمئات السنين ، بل حتى الكيانات والقوى التى هى دون ذلك ، وذلك عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة كما سيتبين من الدلالات التاريخية .

وهذا الاضطهاد من أهم الضرورات التى فرضت على المسلمين الصدام مع القائمين به من السلطات الحاكمة وجيوشها لمنعهم من هذا الجرم التاريخى ضد المتدينين من الشعوب المستضعفة ، ليمنح هؤلاء حرية العقيدة ، ويمكن المسلمون من تبليغ الدعوة التى كلفوا بها من قبل ربهم .

والاضطهاد الديني واحد من أخطر ما يمكن أن يمارس ضد أصحاب الديانات والمعتقدات المختلفة . وذلك لأن الدين هو أهم ما يملكه المتدين ، حتى إنه فى الكثير من الأحيان ، يقدمه عن نفسه .

وهذا النوع من الاضطهاد مارسه الناس ضد بعضهم فى كل العصور والأماكن ، كما سيتبين من الدلالات التاريخية اللاحقة . وقد جاءت نصوص الإسلام فى هذا الشأن تبين أمرين :

الأول : وجود هذا النوع من الاضطهاد قبل الإسلام واستمراره بعد ذلك .

الثانى : نهى المسلمين وغيرهم بشدة عن ممارسة الاضطهاد الدينى ضد الآخر.

ومن الدلالات التاريخية التى سجلها القرآن الكريم بالنسبة للأمر الأول ما يأتى :

أن كل الرسل والأنبياء الذين أرسلوا إلى الناس ، كذبوا وكفر الناس بما جاءوا به إلا قليل آمنوا بهم. ليس هذا فحسب بل مارس أكابر هؤلاء الكافرين بالرسل ومجرميهم الاضطهاد ضد من آمن بالرسل لمحاولة عودتهم إلى عقيدة هؤلاء

المجرمين.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ : ٣٤]

- وعندما عرف سحرة فرعون الحق على يد موسى عليه السلام وآمنوا به رسولاً وبربه إلها. ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣ . ١٢٤]

مما اضطر من آمن أن يكتم إيمانه خوفاً من أن يلقى مصير السحرة ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾[غافر : ٢٨]

- كذلك سجل القرآن الكريم اضطهاد اليهود للمسيحيين فى اليمن قبل الإسلام ، إذ قال: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ﴾ [البروج : ٤: ٨]
- كما ستبين المصادر التاريخية – لاحقاً – الكثير من الدلالات التاريخية الأخرى التى سبقت ظهور الإسلام، واستمرت بعد ذلك.

أما الأمر الثانى ، وهو النهى عن الاضطهاد الدينى ، فقد جاء فى الكثير من نصوص القرآن الكريم ومنها :

قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٥٦]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ [الكهف: ٥٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ٩٩ .١٠٠]

- التصنيف النوعى للدلالات التاريخية على الاضطهاد الدينى .

- اضطهاد الوثنيين لليهود

وفى إطار اضطهاد الوثنين لكل أصحاب الديانات التى عاصروها جاء إضطهاد اليهود كمرحلة من تلك المراحل التاريخية ، فنالهم نصيبهم من هذا الاضطهاد الوثنى .

ففى الجانب الرومانى ، عندما كانت الإمبراطورية الرومانية تدين بالوثنية، وفى سنة ٧٠م استولى تيطسُ على أورشليم وجعلها طعمه للنيران ، وبدئ بتشتيت شمل اليهود ، كما يقول لوبون[١].

ويقول تشالزروت: إن الإمبراطورية الرومانية حاولت [إستئصال الديانة اليهودية فى عام ٧٠ بإشعال النار فى هيكل أورشليم وتدميره كلية ، وقمعها الدموى للثورة اليهودية التى نشبت عامى ١٣٢و ١٣٥م[٢].

[١] جوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ت عادل زعيتر ، دار العالم العربى – القاهرة – ٢٠٠٩م ، ص ٤١– ٤٢.

[٢] الإمبراطورية الرومانية ، ت رمزى عبده جرجس ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص ٧٧.

وفى الجانب الفارسى وكما يقول – جوستاف لوبون ، استولى ملك بابل القوى على أورشليم فى سنة ٥٨٦ ق. م، وجعل عاليها سافلها وهدم هيكلها ، وجعل من اليهود أسارى فغدت أورشليم أثراً بعد عين[١].

الاضطهاد الوثني للمسيحيين .

قبل نزول المسيحية وانتشارها ، كانت الوثنية . بمختلف صورها – هي المعتقد الأكثر شيوعاً في العالم ، بما في ذلك الامبراطورية الرومانية ومستعمراتها في شرق وجنوب البحر المتوسط ، وعندما بدأت المسيحية في الانتشار وأصبح لها أتباع ، قام الوثنيون بأوامر ورعاية من أباطرة وحكام الرومان بإنزال مختلف أنواع الاضطهاد بأتباع هذه الديانة في مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، وكان القتل بصوره المختلفة الوسيلة الشائعة للتعامل مع أتباع المسيحية ، وقد سجل لنا المؤرخون . قدامي ومحدثون . الكثير من مستويات الاضطهاد الوثني لأتباع المسيحية .

يقول المؤرخ المسيحي القديم يوسابيوس القيصري ، والذي عاش بين سنتي [٢٦٤ـ ٣٤٠م] ، لقد رأينا بأعيننا بيوت الصلاة تهدم إلي الأساس ، والأسفار الإلهية تلقي في النار وسط الأسواق ورعاة الكنائس يختبئون بخزي هنا وهناك ، ويلقي القبض عليهم بحالة مزرية ويهزأ بهم من أعدائهم ، ويذكر هذا المؤرخ أنه رأي الوحوش التي يطلقونها تفترس الذين ثبتوا علي أيمانهم[٢] . [لقد اضطهدنا بعنف أشد من سابقيه وبصفة مستمرة ، وأمر بإقامة الهياكل في كل مدينة][٣]

---

[١] اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٤١– ٤٢.

[٢] يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة، ت القمص مرقص داود ، مكتبة المحبة.القاهرة– ١٩٩٨ ، ص٣٥٣

[٣] السابق: ص٣٧٠

وفي عهد نيرون قطعت رأس بولس في روما ، وصلب بطرس أيضا . بل إن ديونيسيوس أسقف كورنثوسي يقرر أن الرسولين قتلا في وقت واحد . [١]

يقول أحد القساوسة إنه في عهد القيصر ساويرس سبتيموس ، والذي تولي سنة١٩٣م ، استمر الوالي الروماني بمصر يعذب المسحيين سبع سنوات ويوقع بهم صنوف البلايا ، فكان يهجم علي الرجال والنساء في بيوتهم فجأة ويقبض عليهم ويجرهم إلي مكان القتل وهناك تقطع رؤوسهم بعد إن يذوقوا أمر عذاب وبعضهم يلقون في السجون ويبقون بها حتى تفتك بهم الإمراض ، ولشدة الأهوال التي لاقاها المسيحيون انتشرت الأخبار بينهم حينئذ بان المسيحيين قتلوا في كل العالم أجمع ، وعملت السيوف في النصارى فلم ينج منهم إلا من لجأ إلي الجبال واختفي في المغائر[٢]

ومن ذلك أن الإمبراطور سبتيموس سيثروس [١٩٣- ٢١١م] أصدر مرسوما بتحريم اعتناق المسيحية كلية سنة[٢٠٢م] ، ونفذ هذا المرسوم بحذافيره في مصر ، كذلك تم إغلاق مدرسة تعليم المبادئ المسيحية في الإسكندرية ، ولقد حرم المسيحيون من الامتياز الذي كان يتمتع به اليهود ، وهو إعفاؤهم من حرق البخور أمام تمثال الإمبراطور الروماني وعليه فقد اقتيد كل من امتنع من أداء هذا الطقس لتمثال الإمبراطور من مختلف بقاع أرض مصر إلي مدينة الإسكندرية حيث كان ينكل به أشنع تنكيل ، فلقد قطعت رؤوس البعض ، وألقي بآخرين إلي الأسود ، وأحرق البعض إحياء دون نظر إلي سن أو جنس.[٣]

---

[١] يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ، ص٣٧٠ .

[٢] القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة-مصر-١٩٨٣، ص٥١

[٣] د.عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، ت إسحق عبيد ، المجلس الأعلى للثقافة – مصر- ٢٠٠٥م ، ص٣٨-٣٩

كذلك أصدر دقلديانوس مرسوما في٢٣فبراير٣٠٣م ، وهو المرسوم الذي ذكرته إديث بتشر ، وذكر المؤلف هنا شروحه[١] ونص هذا المنشور هو :

١. يجب هدم جميع الكنائس وإزالتها من الوجود
٢. يجب حرق كل الكتب المقدسة
٣. جميع المسيحيين الموظفين في خدمة الحكومة لا يتجردوا من وظائفهم فقط بل ويحرمون من حقوقهم الوطنية أيضا [وذلك لكي يتثني لأعدائهم ان يذيقوهم أنواع العذاب وأشكال القسوة]
٤. كل المسحيين غير الموظفين يسيرون عبيدا أرقاء .

كذلك ذكر أحد الكتاب المسحيين المصريين هذا المرسوم وبنوده في إطار الاضطهاد العام لهذا الإمبراطور بل للرومان عموما في مصر ، وزاد عليه ذكره لمنشورين آخرين صدرا متلاحقين في مارس من نفس العام٣٠٣ م أولهما يقضي بسجن جميع رؤساء الكنائس ، والثاني يقضي بتعذيبهم بقصد دفعهم لجحد الإيمان وفي شهر ابريل من نفس العام اصدر مكسيمياتوس هركوليوس . مساعد دقلديانوس – المنشور الرابع وهو أسوأها علي رأي هذا الكاتب ويقضي بإرغام جميع المسيحيين علي أن يضحوا للآلهة ، وكان القصد من هذه المنشورات محو المسيحية من الوجود[٢] ودقلديانوس هو الذي دعا نفسه [رب وسيد العالم] ولم يسح لأحد بالاقتراب منه إلا وهو راكع [٣]

---

[١] إديث بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، ت إسكندر تادرس ، مطبعة مصر بالفجالة – مصر– ١٩٠٠، ج١فصل١٨، د.عزيز سوريال عطية: السابق ، ص٤٠–٤١

[٢] أثناسيوس المقاري: الكنائس الشرقية وأوطانها ، ، [ج ٢ ، كنسية مصر] دار نوبار – مصر– ٢٠٠٧م ، ج٢ص١٢٩

[٣] السابق ، ص ١٢٨ .

وكانت حدة موجة الاضطهاد تختلف من ولاية إلي أخري ولكن نصيب مصر من الاضطهاد كان هو الأعتي والأشد ضراوة ، فلقد تم تشويه العديد من الأنفس بالبتر وفقأ العيون والحرق لإرهاب أهل مصر ، ولم تكن السلطات الرومانية في أغلب الحالات تقوم بقطع رؤوس الضحايا ، وإنما كانوا يتلذذون بتعذيب الضحايا قبل أن يجهزوا عليهم . وأمام هذا الجبروت اضطر البعض إلي الارتداد عن المسيحية ، وإن كان ذلك في أعداد قليلة عما كانت الحال عليه من قبل ومن يطالع تفاصيل هذا العذاب الذي لقيه أهل مصر في عهد دقلديانوس سواء في كتاب التاريخ الكنسي ليوسيبوس ، أو في تاريخ البطاركة تقشعر أبدانه من تفاصيل ما يقرأه عن الأعداد الغفيرة من الضحايا فلقد امتلأت سراديب السجون بالرجال والنساء من مختلف شرائح المجتمع المصري ، الذين كانوا ينتظرون الجلاد لنحرهم أو لشنقهم . ويلاحظ أن موجة الاضطهاد التي ابتدأها دقلديانوس قد استمرت علي عهد خلفه . علي النصف الشرقي من الامبراطورية . ماكسمينوس دايا [٣٠٥ . ٣١٣م] ويروي أن موجة الاضطهاد قد استمرت مستعرة لمدة عشرة أعوام متعاقبة . ولا بد أن حصيلة الشهداء كانت مهولة بحق وكان من بين ضحايا الإمبراطور ماكسمينوس ، البطريرك السابع عشر للإسكندرية نفسه . وهو بطرس الأول٣٠٢ . ٣١١م ؛ الذي شيعه التاريخ كآخر الشهداء وتقدر الكنيسة المصرية عدد ضحايا هذه الموجة من الاضطهاد بـ [١٤٤٠٠٠] الي [٨٠٠٠٠٠] [١]

وفي شمال إفريقيا ظل الوندال الآريون قرابة قرن من الزمان يضطهدون الأرثوذكس اضطهادا عنيفا لا هوادة فيه ، فشردوا أساقفتهم ، وحرموا الجهر بإقامة شعائرهم الدينية ، وقسوا في تعذيب هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا في ديانة من فتحوا

[١] د.عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، ص٤١

بلادهم . فلما سحق بليزاريوس قوة الوندال سنة ٥٣٤م ، وأعاد شمال افريقية إلي الدولة الرومانية لم يلتق في مجمع قرطاجة الا ٢١٧ أسقفا لاستئناف إدارة الكنيسة المسيحية . وبعد أن تعرضوا لاضطهاد مرير طويل الأمد . استسلموا له مكرهين ، لم يكن بد من أن ينقص عدد المخلصين للدين نقصا كبيرا[١]

وبلغ الأمر أن زعيم البربر في مقاطعة طرابلس والذي كان في حرب مع ثورسمند ملك الوندال [٤٩٦- ٥٢٤] كان يهزأ بإله المسحيين ويقول "لست أعرف من يكون إله المسحيين ولكنه إذا كان قويا كما يصورنه ، فإنه سيثأر من هؤلاء الذين يحقرون من شأنه ، ويخلص هؤلاء الذين يمجدونه[٢]

وهذا ما حدث بعد حين فقد ثأر إله المسحيين الواحد الأحد ، من هؤلاء وخلص من يمجدونه بواسطة أتباع دينه الخاتم . الإسلام . من خلال الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا في العصر الأموي .

محاولة فرض الفرس عقيدتهم علي الروم .

وفي إطار فرض العقيدة ، وجعلها من الدوافع الأساسية للصراعات الدولية ، يتجلي موقف الفرس من الروم في إحدي جولات الفريقين ، فعندما كرر الإمبراطور هرقل طلبه لكسري بالصلح مقابل ضريبة أو جزية سنوية ، أجابة كسري ملك الفرس بصلف : [إنه لم يسالم النصارى ما لم ينكروا المصلوب ويعبدوا الشمس][٣]

الاضطهاد الوثني للإسلام .

---

[١] توماس أرنولد الدعوة إلي الإسلام ، ت حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة – ١٩٧٠، ص١٤٦

[٢] السابق ، ص١٤٥

[٣] عن د.ليلي عبد الجواد ، الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين دار النهضة العربية – مصر- ١٩٨٥م ، ص٢٠٨

من الأحداث البارزة في التاريخ الإنساني حرب الوثنيين ـ ومن عاونهم من اليهود وغيرهم – في شبه الجزيرة العربية علي الإسلام وأتباعه ، تلك الحرب التي سخر لها أتباعها كل إمكانياتهم من رجال وأموال ..... الخ ، والتي لاحقت هذا الدين وأتباعه في كل مكان هاجروا إليه داخل وخارج بلاد العرب ، حتى عندما عبروا إلي ما وراء البحر ـ الحبشة ـ لاحقوهم ، وبعد ذلك في مدينتهم حاصروهم ، وعبر سنين طويلة حاربوهم ، وما نقموا منهم إلا أنهم آمنوا بالله الواحد ، فاختاروا عقيدتهم مثل غيرهم في شبه الجزيرة ممن كان يعبد الأصنام أو النار أو الشمس أو يدين باليهودية أو المسيحية أو غير ذلك من معتقدات كثر عددها بين سكان شبة الجزيرة ، حتى كان حول الكعبة يوم فتح مكة [٣٦٠] صنما . ولم تنته حرب هؤلاء الوثنيين ومن ظاهرهم من يهود وغيرهم علي الإسلام وأتباعه إلا بعد أن قويت شوكت المسلمين وأذن لهم في الدفاع عن أنفسهم وحماية عقيدتهم، وهذا أمر أغني العلم به عن تفصيله .

وقد استمرت تلك الحرب ضد الإسلام وأتباعه على مر التاريخ كلما تهيأت الأحوال لذلك ، ومن ذلك حرب الوثنية فى آسيا ـ فى الهند والصين وميانمار وغيرها ـ ضد المسلمين بما يشبه حرب الإبادة لهم ، أو هى كذلك ، وفيما يأتي نماذج من ذلك[١] :

فالصين مارست اعتداءات تاريخية متكررة على إقليم تركستان الشرقية المسلم ، وتناوبت احتلاله مع الإتحاد السوفيتى سابقا ، حتى ضمته إليها عام [١٢٩٩هـ / ١٨٨١ م]، وضم هذا الإقليم رسميا إلى الصين الشيوعية [١٩٤٩م] وأطلقت عليه اسم [شينكيانج] أى المقاطعة الجديدة أو المستعمرة الجديدة . ومارست الصين فيه الإضطهاد والتهجير ضد شعبه المسلم حتى انخفضت نسبة

[١] ar. Wikipedia.org, 10-2013.

المسلمين فى الإقليم من ٩٠% إلى ٧٠% نيجة لتهجير الملايين منهم من الإقليم

وفى عام [٢٠٠٩ م] اجتاح الجيش الصينى الإقليم ، وقتل ١٩٠ شخصا وأعلن عن اختفاء ١٠٠٠٠ لم يعرف مصيرهم .

كما أجرت الصين ، منذ ١٩٦١ ، ٤٦ تجربة نووية فى موقع لوينور فى الإقليم مما أدى إلى [كارثة بيئية من تلوث الأرض والماء والنبات الطعام ، مما أدى إلى وفاة ٢٠٠٠٠٠ شخص ، فضلا عن ازدياد المصابين بالسرطان هناك .

وفى الهند ، وفى الفترة بين يناير ١٩٩٠ وأبريل ١٩٩١ فقط ، أى فى أقل من سنة ونصف ، بلغت حصيلة حرب الوثنية الهندوسية من مسلمى كشمير ٢١٤٩٠ شهيدا ، وبلغ عدد الجرحى ٢٠٠٠٠ مسلما ، كما أحرق ٢٠٠ طالب أحياء فى مدينة كبواره فى ١ أكتوبر ١٩٩٠ م ، كما بلغ عدد المسجونين من جميع الفئات من المسلمين ٥٠٠٠٠ ، كذلك تم إحراق ٤١٨ فى بيوتهم ، أما النساء المسلمات اللآتى أستشهدن بسبب هتك أعراضهن جماعيا فبلغ عددهن ١٠٤ ، واللآتى وجدت جثثهن فى نهر جهلم بعد هتك أعراضهن بلغن ٢٠٠ مسلمة ، هذا فضلا عن إحراق وتدمير عشرات الآلاف من مساكن المسلمين ومدارسهم ومستشفياتهم .... الخ .

وفى ميانمار مارست الوثنية الإضطهاد ضد المسلمين منذ القرن ١٦ م ، ففى عهد الملك بينوانغ [١٥٥٠ ـ ١٥٨٩م] تم حظر ممارسة الذبح الحلال للمسلمين ، وأجبروا على الإستماع للخطب والمواعظ البوذية لإجبارهم على تغيير دينهم بالقوة ، ومنع عيد الأضحى وذبح الأضاحى من الماشية .

وفى عهد الملك بوداوبايا [١٧٨٢ ـ ١٨١٩ م] قبض على أشهر أربعة أئمة مسلمين فى ميانمار وتم قتلهم فى العاصمة لتمر البلاد بعد ذلك بأيام مظلمة

وفى ٢٠١٢ م بدأ البوذيون إبادة جماعية فى ولاية راخين بعد أن صرح

رئيس ميانمار [ثين سين] بأنه يجب طرد مسلمى الروهنجيا من البلاد وإرسالهم إلى مخيمات للاجئين تديرها الأمم المتحدة [١].

الاضطهاد المسيحي للآخر .

يعد الاضطهاد الديني المسيحي للآخر بقصد تحويله إلي المسيحية ، أو نشر المسيحية بالسيف إن لزم ذلك . من القواعد والواجبات العليا في الممارسة المسيحية بصورتها التي وصلت إلينا ، وهذا ما تبنته الوصايا الدينية لرجال الدين المسيحي ومفكروه ، والتي ينسب بعضها إلي السيد المسيح . عليه السلام . وكذلك الدلالات التاريخية التي تجسد تلك الوصايا .

- **الوصايا الدينية** .

من تلك الوصايا قول أكبر أباء الكنيسة الكاثوليكية أوغسطين[٣٥٤-٤٣٠م] بعد أن أكد ضرورة إجبار الناس علي اعتناق المسيحية : [لا ينبغي أن يترك الناس في أهوائهم لاهيين . ألم يقل المسيح في ذلك المعني ما نصه : واحملهم علي الدخول في الدين] . يقول فشر تعقيبا علي ذلك : [وهو القول الذي بني عليه القديس أوغسطين سنة الاضطهاد الديني التي حاقت بالعقل الأوربي خلال القرون الطافحة بالإيمان][٢]

وفي هذا الإطار أيضا قال أوغسطين : [إن الإجبار مثل دواء أعطي إلي مريض غير راغب من أجل مصلحته][٣]

بل إن هؤلاء قد يصل بهم الأمر إلي استرقاق الشعوب لجعلهم يعتنقون

---

[١] مجلة المهندسين (ملحق خاص بكشمير) عدد ٤٣٨ ، صفر ١٤١٣ هـ - أغسطس ١٩٩٢ ، ص ٢٥.

[٢] هـ.ا.ل.فشر: تاريخ أوربا..العصور الوسطي ، ج١ص١٢

[٣] انتوني بلاك ، الغرب والإسلام.. الدين والفكر السياسى فى التاريخ العالمى ، ت د. فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة – الكويت– نوفمبر ٢٠١٢م ، ص٩٠

المسيحية ، هذا ما يؤكده واحد من أكبر المفكرين في تاريخ الغرب ، وينسبه للمسيحية ، إذ يقول :[أود أن أقول إن الدين يمنح من يعتنقونه حق استرقاق من لا يعتنقونه ليسهل العمل في سبيل نشره ، وطراز التفكير هذا هو الذي شجع مخربي أمريكا علي جرائمهم ، وعلي هذه الفكرة بنوا حق استرقاق كثير من الشعوب ، وذلك لأن قطاع السابلة هؤلاء الذين كانوا يريدون أن يكونوا لصوصا ونصارى علي الإطلاق ، كانوا أتقياء إلي الغاية . أجل ألم لويس الثالث عشر كثيرا من القانون الذي يجعل زنوج مستعمراته عبيدا ، غير أنه وافق عليه عندما أُلقي في روعه أنه أضمن وسيلة لهدايتهم إلي النصرانية][١]

وينقل مونتسكيو عن بلوتارك قوله : [إنه كان لا يوجد سيد ولا عبد من زمن ساتُورن ، فالنصرانية قد أعادت العهد في أقاليمنا][٢]

وتقول وصية القديس لويس : [عندما يسمع الرجل العامي أن الشريعة المسيحية قد أُسئ إلي سمعتها ، فانه ينبغي ألا يزود عن تلك الشريعة إلا بسيفه الذي يجب عليه أن يطعن به الكافر في أحشائه طعنته نجلاء][٣]

الدلالات التاريخية .

هذه الدلالات امتدت عبر الزمان وخلال المكان بما يجعلها تستعصي على الحصر وفيما يأتي نماذج نوعية من هذه الدلالات .

اضطهاد المسيحيين للوثنيين .

إما اضطهاد المسيحيين للوثنيين ، فلم يكن أقل من عكسة من قبل ، بل

---

[١] مونتسكيو: روح الشرائع ، ت عادل زعيتر، وزارة الثقافة- مصر-٢٠١٠م ، ج١ص٣٥٣

[٢] السابق :ج١ص٣٥٧.

[٣] توماس ارنولد: الدعوة إلي الإسلام ، ص٣٢.

لقد حارب المسيحيون كل ما هو وثني من بشر ومقدسات وحضارة ، كما ستبين الدلالات التاريخية .

وفي البداية ظل قسطنطين الأول حتى وفاته٣٣٧م يتخذ موقفا وسطاً بين المسيحية بمذهبيها من جهة والوثنية من جهة أخري.... لكن أبناءه شنوا علي الوثنية موجة عنيفة من الاضطهاد ، فصادروا ما لمعابدها من أراضي وممتلكات لكن جوليان تخلي عن المسيحية سرا ، وعندما تولي الامبراطورية [٣٦١ . ٣٦٣] عقب وفاة قسطنطيوس الثاني سنة٣٦١م ، أعلن ارتداده عن المسيحية وأخذ يعمل علي تخليص الوثنية من المحنة التي تعرضت لها نتيجة لطغيان المسيحية عليها . وهو لم يكن متعصبا ضد المسيحية ، حتى انه امتدح مبادئ المسيحية مثل الاحسان والرحمة والعطف علي الفقراء والمرضي ، وانتقد ذلك في الوثنية لكن عندما تولي جوفيان الامبراطورية عادت الأمور إلي سابق عهدها من اضطهاد الوثنية . [١]

[وبعد موت ثيودوسيوس الأول في سنة ٣٩٥ بعد انتصاره العسكري مباشرة ، أصدر ابناه اللذان خلفاه في حكم الشرق والغرب مزيدا من القوانين ضد الوثنية فصدرت الأوامر بتدمير كل المعابد والهياكل المقدسة للآلهة اليونانية . الرومانية القديمة . ولم يعد مسموحا بحرية العبادة في الامبراطورية الرومانية وصارت المسيحية هي الديانة الشرعية الوحيدة في الامبراطورية منذ ذلك الحين] . [٢]

[وقد استمرت الحرب التي بدأها ثيودسيوس الأول ضد الوثنية مدة ثلاثين سنة بعد وفاة هذا الإمبراطور ، أقفلت فيها معابد الوثنيين وأعدمت كتبهم ومنعوا

[١] د.عاشور: أوربا العصور الوسطي ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ج١ص٤٦-٤٧

[٢] كانتور: التاريخ الوسيط .. قصة حضارة البداية والنهاية ، ت د. قاسم عبده قاسم ، دار المعارف – مصر – ١٩٨١م ، ص٩٥

من مباشرة طقوسهم الدينية حتى داخل منازلهم ، بل إن الإمبراطور أركاديوس[٣٩٥- ٤٠٨] أصدر مرسوما بتحطيم معابد الوثنية . لا إغلاقها فحسب . واستغلال أحجارها وموادها في إقامة منشآت عامة . وعندئذ أدركت الوثنية قرب مصيرها المحتوم فلم تجد بدا من الفرار والالتجاء إلي مناطق العزلة النائية في إيطاليا وغاليا[١]

وفي سنة ٤٣١م أنزل ثيودوسيوس الثاني بالوثنيين ضروبا أخري من التعجيز السياسي والحرمان من الحقوق ، حتى إذا وافت سنة ٤٣٨ م ادعي أنه لم يبق منهم أحد في الامبراطورية[٢]

وظل هذا الحال حتى القرن السادس عندما أقام القديس بندكت ديره الشهير سنة٥٢٩م علي أنقاض أخر ما تبقي من معابد أبولو في مونت كاسينو . [٣]

ومن ذلك ما ذكره توماس أرنولد – وغيره – عن اضطهاد شارلمان الشهير للسكسون وتحويلهم للمسيحية بحد السيف ، كذلك دور الملك كنوت Cnut فى استأصاله للوثنية من مملكته بالقوة والإرهاب ، كذلك دور[جماعة إخوان السف . Bretheren of The sword] في التنصير بـ [السيف والنار] كما نص أرنولد[٤]

ومن ذلك . أيضا . أسلوب الملك ترايجفيسون في نشر المسحية في جنوب النرويج ، حيث كان أولاف ترايجفيسون Olaf Trygvsson . كما يقول أرنولد .

---

[١] د.عاشور: أوربا العصور الوسطي ، ج١ص٤٨

[٢] رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص٣

[٣] د.عاشور: السابق ، ج١ص٤٨

[٤] الدعوة الي الإسلام ، ص٣٠-٣١

يقوم بذبح هؤلاء – سكان فيكن Viken، في القسم الجنوبي من النرويج . الذين أبوا الدخول في المسيحية ، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم ، أو بنفيهم وتشريدهم ، وبهذه الوسائل نشرالدين في فيكن بأسرها[١]

وفي الحبشة . وفي سنة١٨٨٠ . كما يقول توماس أرنولد . أجبر الملك جون عشرين ألفا من أفراد إحدى القبائل الوثنية ، ونصف مليون من قبائل [الجلا] علي التعميد[٢]

لقد حارب المسيحيون في الامبراطورية الرومانية ، بعد أن امتلكوا السلطة والقوة، كل ما هو وثني ؛ حتى العلم والحضارة ، وهذا ما يؤكده قول المؤرخ والمستشرق الروسي بارتولد من أن نزاع المسيحية مع الوثنية لم ينحصر في الدائرة الدينية[٣] ومن ذلك ما فعله هؤلاء المسيحيون بالإسكندرية إحدى معاقل العلم الكبرى في العالم القديم ، وبمكتبتها الشهيرة وعلمائها ، تقول المستشرقة الألمانية سجريد هونكه[إن إحراق مكتبة الإسكندرية الكبرى . والذين يصرون بعناد علي تحميل العرب مسئوليته ، رغم أنهم فتحوا المدينة بعد انقضاء أربعة قرون علي ذلك الحدث . قد دل هذا الحريق علي أنه . بعد دراسة وافية هو من أعمال الإبادة المسيحية ، فضلا علي أنه دعاية موجهة ضد الإسلام .

وفي عام [م٤٧ق . م] قبل الميلاد ، وفي أثناء مرابطة يوليوس قيصر [١٠١ . ٤٤ق] قدمت٧٠٠ لفافة من كتب مكتبة الإسكندرية طعما للنيران . لكنه في القرن الثالث وضعت خطط التدمير المنتظمة ، فقد قام بطريرك مسيحي بإغلاق المجمع العلمي ، وطارد أعضاءه ، وفي عهد الإمبراطور البيزنطي"فالنوس" عام[

[١] الدعوة الي الإسلام ، ص٣٢

[٢] السابق ، ص١٤٢

[٣] تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٤٣

٣٦٦م] تم استبدال المجمع العلمي بكنيسة ، ونهبت مكتبته وبددت ، وتعقبوا فلاسفتها تحت غطاء وبتهمة السحر والشعوذة . وفي عام٣٩١م استصدر البطريرك "ثيوفيلوس"[٣٨٥ . ٤١٢م] إذنا من القيصر ثيودوسيوس يقضي بتدمير أكبر وأخر محج للعالم القديم ، وهي أكاديمية الإسكندرية الكبري[السيرابيون] وبتقديم ٣٠٠ لفافة طعما للنيران ، وبذلك تعرضت البشرية لافدح خسارة في تاريخها..... وفي القرن الخامس يعترف انيوشن . صديق البطريرك سيفروس ، بأنهما كانا عضوين في مجموعة إرهابية مسيحية في الإسكندرية ، وانهما قاما بمحاربة العلماء الوثنيين وبمهاجمة دور الثقافة ، ودمروا مكتباتهم ومنشاتهم، واختفي بذلك ملاذ أخر معقل من معاقل العلم الهليني[١]

وفي أثينا سنة٥٢٨م أغلق جستينان مدارس الفلسفة بوصفها ركنا من أركان الوثنية . [٢]

وفي روما عام٦٠٠م أحرقت مكتبة بالاتين ، التي أنشئت من قبل أوغسطوس[٦٣ق . م . ١٤م] ومنع تداول المؤلفات الكلاسيكية عامة ، والرياضيات بصفة خاصة كما تذكر سجريد هونكة[٣]

لقد كان أكثر المبشرين من النصارى . كما يقول بارتولد . يكرهون العلوم والفنون المتصلة بالعقيدة الوثنية ، ولم يكن عند نصارى القرن العاشر المؤمنين بقيام الساعة بعد زمن قليل ، ما يدعو إلي الاهتمام بشئون الدولة وتقدم الحضارة

[١] عن د.محمد عمارة : الاسلام بعيون غربية ، دار الشروق القاهرة ط٢ ، ١٤٢٧هـ /، ٢٠٠٦م ، ص٣٣٩-٣٤٠

[٢] د.سعيد عاشور: اوربا العصور الوسطي ، ج١ص٤٨

[٣] عن د.محمد عمارة : السابق ، ص٣٤٠

ماديا وأدبيا [١]

[إن الكنيسة كانت سببا لسقوط العلم والفن الذين كان يفهمان عند طبقة خاصة][٢]

اضطهاد المسيحيين لليهود .

لقد ذاق اليهود ألوانا من الاضطهاد تحت الحكم الرومانى المسيحى، حتى بلغ الأمر فى بعض الأزمنة محاولات استئصالهم، وأحيانا تعميدهم" وليس المقصود هنا الانتصار لليهود فى مثل هذه السياقات التاريخية، فاليهود معروفين بثوراتهم وخياناتهم ونقضهم للعهود والمواثيق، ولكن المقصود هنا إظهار بعض الدلالات التاريخية على الاضطهاد الدينى للأقليات التى تخالف فى عقيدتها السلطات الحاكمة.

ففى عام [٥٢٩ م] أمر الإمبراطور الرومانى جوستنيان بتدمير معابد اليهود ، وفى عهد الإمبراطور موريس [٥٨٢ . ٦٠٢م] تم طرد اليهود من أنطاكيا ، وحلق أوساط رؤوسهم وجعل تلك سمه يعرفون بها [٣]. يقول المؤرخ السريانى دينسيوس التلمحرى فى هذا الإطار :

فى عام [٦١٧ . ٦١٨م] أصدر الملك فوقاس أمرا بتعميد كل اليهود الواقعين تحت نفوذه ، وأرسل فوقاس جورجيوس الحاكم إلى أورشليم وإلى كل إقليم فلسطين لإجبار اليهود على التعميد ، فذهب إلى فلسطين وجمع كل يهود أورشليم وضواحيها. فلما مثل عظماؤهم أمامه بادرهم قائلاً : "هل أنتم عبيد الملك" ؟ فقالوا: "نعم" فقال لهم: "لقد أمر سيد البلاد أن تتعمدوا". حينئذ لاذوا بالصمت ولم يتفوهوا

[١] تاريخ الحضارة الإسلامية ، ت حمزة طاهر، دار المعارف – مصر– ط ٥، ١٩٨٣.، ص٤٣

[٢] السابق : ص٤٣

[٣] د. ليلى عبد الجواد : السابق ، ص ١٩٢– ١٩٤.

بكلمة، فسألهم الحاكم : "لماذا لم تجيبوا ؟" فانبرى أحدهم ويدعى يونان قائلاً: "إن كل ما يأمر به رب الأرض مستجاب ولكن بالنسبة لهذا الأمر فلا نستطيع تنفيذه لأنه لم يحن بعد ميعاد العماد المقدس". فلما سمع الحاكم هذا الكلام استشاط غضبا وانتقض واقفا حيث صفع يونان على وجهه ثم توجه إليهم بقوله : "إن كنتم حقا عبيداً فلم لا تطيعون سيدكم؟" وأصدر أمرا بتعميدهم سواء قبلوا أو رفضوا هذا التعميد[١].

وفى عام [٦٣٠م] طلب اليهود فى عدد من المدن والقرى فى فلسطين الأمان من هرقل ، فأعطاهم ذلك وكتبه لهم ولكنه ، وعندما وصل إلى بيت المقدس لإعادة الصليب إليها ، أمر بإقصاء اليهود عن المدينة المقدسة ، وأمر بألا يسمح لهم بالسكنى فيها أو الاقتراب منها على بعد لا يقل عن ثلاثة أميال ، وهو نفس القرار القديم الذى أصدره هادريان [١١٧- ١٣٨م] لأول مرة عام ١٣٦م بمنع اليهود من أن يعيشوا على بعد أقل من خمسة كيلو مترات من بيت المقدس ثم اتخذ إجراء آخر تحت ضغط رجال الدين فى بيت المقدس، وهو غلق معابد اليهود ونهب أرزاقهم فى جميع ولايات الإمبراطورية ، حتى إنه لم ينج منهم إلا من اختفى أو هرب إلى البرارى والجبال والأودية ، وفى عام ٦٣٢- وقيل ٦٣٤م - أمر هرقل بتعميد اليهود تعميداً فعليا فى جميع أراضى

[١] دينيسوس التلمحرى : تاريخ الأزمان ، ت شادية توفيق حافظ ، المركز القومى للترجمة – القاهرة – رقم ١٢٧٧ ، ط أولى ، ٢٠٠٨م ، ص ٢١.

الإمبراطورية، وقد أرسل هرقل والى له يسمى جورج George لهذه المهمة فعمل بكل ما يستطيع لتنفيذ قرار الإمبراطور فى مناطق الشرق، وكذلك فى إفريقية حيث عين أرخونا هناك لمباشرة هذا الأمر.

ولم يكتف الإمبراطور هرقل بالإجراءات السابقة التى اتخذها ضد اليهود بل راح يعمل على استئصالهم وإبادتهم ونفيهم من كل مكان حتى خارج حدود إمبراطوريته فقد أقنع الحاكم القوطى فى أسبانيا ويدعى سيسبو Sisebut بطرد اليهود وإقصائهم عن بلاده ، وبالفعل اتبع سيسبو النصيحة ، وقام بطرد جميع اليهود الذين لم يستطع إرغامهم على التعميد من بلاده، كذلك أقتنع هرقل داجوبرت Dagobert ملك فرنسا بأن ينضم إلى مشروع استئصال اليهود وإبادتهم، وحثه على أن يستخدم نفس الشدة تجاه تلك القومية التعسة[١].

ومنذ ذلك الحين أرسل بطريرك بيت المقدس وأساقفته منشورا إلى جميع الأقاليم الإمبراطورية، يؤكدون فيه على المسيحيين بصوم سبعة أيام من كل عام غفرنا لنقض هرقل العهد وقتله اليهود، لا يزالون يدعونها أسبوع هرقل[٢].

وفى بداية الحروب الصليبية على العالم الإسلام، نهايات ق [٥ هـ/ ١١م] أقسم جود فردى بوايون الذى كان يعد عدته للمشاركة فى الحروب الصليبية، على أن ينتقم للمسيح بقتل جميع اليهود[٣].

وبدأت حملة صليبية ضد يهود أوروبا ، ففى ٣ مايو ١٠٩٦ ، قام إميخ بحملة على الجالية اليهودية فى أشبير قتل فيها اثنى عشر يهودياً بعد أن رفضوا اعتناق المسيحية ، انتحرت سيدة يهودية فى سبيل المحافظة على عفتها كما يقول

[١] د. ليلى عبد الجواد : ص ١٩٨ وما بعدها.

[٢] نفس السابق .

[٣] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م ، ج١ ، ص ١١٢.

رينسمان[١] وفى ١٨ مايو قام نفس هذا القائد بمذبحة لليهود فى منطقة فورمز قتل فيها أكثر من ٥٠٠ يهودى[٢].

وفى ٢٥ مايو قام هذا القائد أيضاً بمذبحة أخرى لليهود فى منطقتى ماينز وكولونيا قتل فيهما نحو ألفين[٣].

كذلك نهج قادة صليبيون آخرون نهج إميخ فى القضاء على يهود أوربا، ومنهم فولكمار وجوتشاك ، وقد استمر شعور العداء تجاه اليهود فى غرب أوربا طوال الحروب الصليبية ، ولم تكن البابوية نفسها أقل عداءً لليهود، إذ أصدر البابا أنوسنت الثالث سنة [٦١٢هـ/ ١٢١٥م] مرسوماً باباوياً يحد من استغلال اليهود للصليبيين سواء فى عمليات الإقراض أو رهن الممتلكات أو غير ذلك [٤]

اضطهاد المسيحيين للمسلمين

من ذلك قتلهم لفروة بن عمرو الجذامي ، الذى كان واليا للروم على معان وما حولها من أرض الأردن ، وقد أسلم وأعلم الرسول – ﷺ – بإسلامه وأهداه بغلة بيضاء ، ولما علمت الروم بإسلامه طلبته وحبسته وراودته للعودة عن الإسلام ، فلما أبي قتلته وصلبته ، وقد قال في محبسه :

ولقد جمعت أجل ما جمع الفتي .. من جودة وشجاعة وبياني ، وقيل إنه أول شهيد من الأردن .[٥]

وفي الحروب الصليبية [المفتوحة] ضد المسلمين [أصدر كبير وعاظ

---

[١] تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٠٠.

[٢] السابق ، ج١ ، ص ٢٠١.

[٣] السابق : ج١ ، ص ٢٠١– ٢٠٢.

[٤] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١١٣.

[٥] ابن حجر : الإصابة ، ترجمة رقم 7024 .

الحروب الصليبية برنارد كلير فوكس أمره إلى المحاربين الصليبين : أما التنصير وإما الإبادة].[١]

وفي تلك الحروب [المفتوحة] ضد المسلمين ، قام الصليبيون بأبشع المذابح التي شهدها التاريخ ، والتي تم تدوينها بأقلام وروايات شهود العيان والأمراء الذين شاركوا في تلك المذابح وتناقلها أيضاً المتأخرون من المؤرخين ، وقد ذكر [Richard A. Gabried] تلك المذابح – إشارة – وقال إن الصليبيين بلغوا من وحشيتهم أنهم كانوا يذبحون الأسرى المسلمين بشكل روتيني ، حتى النساء والأطفال ، وذكر قتل ريتشارد [قلب الأسد] للأسرى المسلمين . [٢]

وفي إطار تلك الحروب المفتوحة ضد المسلمين ، وبعد فشل تلك الحروب في منطقة المشرق الإسلامي ، انتقل تركيز هذه الحروب إلي منطقة إسلامية أخرى وهي الأندلس والجزر الإسلامية في البحر المتوسط ، لإستأصال ما تبقي فيها من الإسلام والمسلمين كنهاية لمرحلة سابقة قام بها الصليبيون هناك للوصول لهذه الغاية ، حيث طرد المسلمون – كما يقول برنارد لويس – من صقلية وإيطاليا وظلوا موجودين لبعض الوقت في أسبانيا حتى بعد قرار إبعادهم سنة [٨٩٧ هـ/١٤٩٢م] ، لقد خير كل المسلمين واليهود في مملكة أسبانيا – كما يقول لويس – في التحول إلى عقيدة جديدة – يقصد المسيحية ، أو النفي أو الموت . [٣]

وفي الحبشة – كما يقول توماس أرنولد – سنة ١٨٨٠ أرغم الملك جون

---

[١] ذكرت هذا المستشرقة الألمانية سجريد هونكه ،عن د. محمد عمارة : الإسلام في عيون غربية، ص ٣٢٣.

[٢] Richad A. Gabriel : Muhammed, University Oklahoma press Norman , U .S . A , 2007, p .23

[٣] اكتشاف المسلمين لأوربا ، ت د. ماهر عبدالقادر ، المكتبة الأكاديمية– القاهرة– ط أولى ، ١٩٩٦م. ص ٢٠٤.

ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد.[١]

وهي حروب مفتوحة ضد المسلمين بوقائع التاريخ لأنه حتى العقد الأخير من القرن الماضي [٢٠] ، حدث أسوأ اضطهاد منظم في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية ضد المسلمين في كوسوفو والبوسنة والهرسك من قبل الصرب والكروات المسيحيين ، وقد اعتبرت المحكمة الجنائية الدولية ذلك إبادة جماعية [٢] ، وحتى بداية هذا القرن أعلن رئيس أكبر دولة مسيحية في العالم [U . S . A] ، أنه سيقوم بحرب صليبية ضد المسلمين وقام بها بالفعل عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة [٣] .

وهناك صورة أخري مرادفة للاضطهاد الديني في مقصدها وغايتها الأساسية ، ومخالفة له في وسائلها .

هذه الصورة هي التنصير ، فالتنصير هو الهدف الأساسي للاضطهاد الديني عند المسيحيين ، ولو تحقق هذا لما تطلب الأمر ممارسة الاضطهاد ضد غير المسحيين من المسلمين وغيرهم ، من تعذيب أو تهجير أو إبادة كما حدث في مراحل تاريخية لا حصر لها

لكن التنصير في هذه الصورة يتخذ وسائل، ويسلك مسارات ، مختلفة عن مثيلاتها في الاضطهاد ، وهي وسائل ومسارات تقوم احيانا علي استغلال حالات الفقر لدي ضعيفي الدين ، فيستخدم المال ، وتقوم أحيانا أخرى علي محاولات التشكيك في عقائد غير المسحيين ، لهدمها وإحلال المسيحية محلها ، وغيرها من الوسائل .

---

[١] الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٤٢.

[2] Emran Qureshi and Michael A . sells : The New Crusades, P. 9, Hans Blix : Law at war , p . 26 – 27 .

[3] Michael paine : The Rusades, Mike paine, U. S. A, 2005, p. 9.

وقد سخرت القوي التنصيرية لذلك إمكانيات بشرية ومالية وإدارية وتنظيمية هائلة . وكان يتم تنسيق ذلك ـ غالبا ـ من خلال مؤتمرات دولية وإقليمية يحضرها قادة التنصير وكوادره فى أماكن العالم المختلفة .

وفيما يأتي نماذج من أشهر تلك المؤتمرات التنصيرية .

مؤتمر القاهـــرة ١٩٠٦ .

كان القسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية للتفكير في مسالة نشر الإنجيل بين المسلمين ... وفي ٤ابريل من سنة١٩٠٦ أُفتتح المؤتمر في القاهرة في منزل عرابي باشا في باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير٦٢ بين رجال ونساء ،....وانتخب زويمر رئيسا للمؤتمر ، وكان برنامج المؤتمر يضم : ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم و النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ، التنصير ، الارتداد ، وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ، شئون نسائية إسلامية .....] وهذه الموضوعات جمعت في كتاب كبيراسمه [وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين] . ثم صنف زويمر كتاباً جمع فيه بعض التقارير عن التبشير وسماه [العالم الإسلامي اليوم][١] ، وجاء في مقدمة الكتاب :

١. يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .
٢. يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي ، علي أنه قد تم جزء من هذه المهمة بعد أن طبع في بيروت ٤٦ مليون صفحة من الكتاب المقدس

[١] ا.ل شاتلية : الغارة علي العالم الإسلامي ، ت محب الدين الخطيب ومساعد الباقى ، المطبعة السلفية ـ مصر ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص١٩-٢٠

٣. تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

٤. ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلي علوم الأوربيين وتحرير النساء ، وأن تنصير أمثال : كامل في بيروت وعماد الدين في الهند وميزرا إبراهيم في تبريز وأعمالا أخري من هذا القبيل من شأنها أن تولد لنا مجهودات جديدة يجب علينا أن نحمد بسببها نعمة الله علينا[١]

مؤتمر أدنبرج ١٩١٠ م.

في شهر سبتمبر ١٩١٠ في مدينة أدنبرج [أدنبرة] عقد أول مؤتمر عالمي سكوني – للإرساليات التنصيرية ، اجتمع فيه مندوبون عن جميع المنظمات الأجنبية والكنائس العالمية التي تقوم بالعمل التنصيري في كل أنحاء العالم[٢] ، وقد نشرت أعمال المؤتمر في تسعة مجلدات ، وبينت وثائق المؤتمر أنه [كان فيه ١٢٠٠مندوب بينهم٥٠٢ من الإنجليز و٥٠٥ من الأمريكيين ، ومن مندوبي التبشير الامريكنيين" المستر روزفلت" رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق لكنه أرسل رسالة اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور . إلا أن المستر براين استطاع أن يحضر – وهو خطيب أمريكا المشهور . وقد رشح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة مرارا . وعلي هذا فالمندوبون الذين يتكلمون الإنجليزية كانوا أكثر من ألف ، والذين يتكلمون الألمانية كانوا ٩٨والأخرون يتكلمون بلغات مختلفة ، ولذلك تقرر أن تكون الإنجليزية لغة المؤتمر .

---

[١] ا.ل شاتلية : الغارة علي العالم الإسلامي ، ص٢٩-٣٠

[٢] د.خالد محمد نعيم : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير ، دراسة وثائقية – كتاب المختار الإسلامى – القاهرة – بدون تاريخ ، ص١٨٣

ومن مستندات مؤتمر أدنبرج أن عدد جيش المبشرين البروتستانت كان يبلغ ٩٨.٣٨٨ مبشرا تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥.٥٠٠.٠٠٠ شخص ويبلغ عدد النساء والرجال الوطنيين وغير الوطنيين من موزعي التوراة الذين يشتركون في التبشير والوعظ ٩٢.٩١٣ وعدد المعاهد الكنسية١٦.٦٧١[١]

وفي هذا المؤتمر قال المنصر الأمريكي الشهير زويمر : لقد صرفنا من الوقت شيئا كثيراً ، وأنفقنا الذهب قناطير مقنطرة وألفنا ما استطعنا أن نؤلف ، وخطبنا ما شاء الله أن نخطب "ومع ذلك فالذين تنصروا ، لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحذيتهم ، فالذي نحاوله من نقل المسلمين إلي النصرانية ، هو أشبه باللعب منه بالجد ، فلتكن عندنا الشجاعة الكافية ، لإعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفلست . وعندئذ يجب علينا قبل أن نبني النصرانية في قلوب المسلمين أن نهدم الإسلام من نفوسهم ، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا ، أو علي من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم أو في نفوس من يتربون علي أيديهم . إن عملية الهدم أسهل من عملية البناء في كل شي إلا في موضوعنا . لأن هدم الإسلام من وجدان المسلم معناه هدم الدين علي العموم ، وهي خطة مخالفة لما ندعو إليه ، لأنها خطة إلحاد وإنكار للأديان جميعاً ، ولكن لا سبيل إلي تخليص المسلمين من الإسلام غير هذا السبيل[٢]

ومن الأمور التي أولاها المؤتمر اهتماماً خاصا في سبيل تحقيق

[١] ا.ل شاتليه : الغارة علي العالم الإسلامي ، ص٤١

[٢] د . خالد نعيم : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير ، ص١٨٥.

أهدافه .[١]

١ . الحيلولة دون حدوث وحدة بين المسلمين أو العرب حتى لا يكون لهم وزن أو تأثير

٢ . الاهتمام بالأزهر باعتباره أهم عائق في وجه التبشير ، وبالتالي في وجه الاستعمار في مصر والعالم الإسلامي .

٣ . ركزت تقارير المؤتمر علي إلغاء الخلافة الإسلامية لما يترتب علية من أثر بالغ في أنحاء العالم الإسلامي ، وانحلال الرابطة الاجتماعية .

مؤتمر مدينة لوزان السويسرية ١٩٧٤ م

كان البحث في هذا المؤتمر يدور حول تنصير العالم ، وما ينبغي أن يوضع له من خطط ، وما يهيّأ له من وسائل ، وما يرصد له من أموال[٢]

مؤتمر القدس التنصيري١٩٣٥

وفي هذا المؤتمر ظهر ما يراد بالمسلمين من قبل هؤلاء المنصرين ومن يدعمهم ، قمة الشر ، أعلى درجات الكراهية ، يريدون المسلمين خارج إطار الأمم ، لا صله لهم بالله، ولا بالأخلاق . بهذا نادي المنصر العتيق صموئيل زويمر مخاطبا أعضاء هذا المؤتمر :

[.. مهمة التبشير التي تدفعكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ، ليست في إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريما ! وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق ، التي تعتمد عليها الأمم في حياتها .[٣]

---

[١] د . خالد نعيم : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير ، ص١٨٦

[٢] د.يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج٢ص١٢٣٠

[٣] نفس السابق.

ويعتبر الاستشراق أحد أبرز وسائل التنصير ، ومن أكثرها اهتماما لدي القائمين عليه ، لأنه يقوم على منهج علمي تنظيمى ، من خلال دراسة عقيدة المسلمين وأحوالهم المختلفة والنفاذ من خلال ذلك إلى عقولهم لمحاولة تغيير عقيدتهم ، وهذا ما اعترف به بعضهم ، فضلا عن كونه أمر ثابت تاريخياً .

يقول المستشرق الألماني المعاصر[اشتفان فيلد Stephan wild] : والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين . وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة [١] فالدافع الديني كان هو السبب الأول في نشأة الاستشراق .

وقد كان من بين الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير[روجر بيكون ١٢١٤ . ١٢٩٤م] الذي كان يري أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع رقعه العالم المسيحي . ولبلوغ هذا الغرض لابد من توفر شروط ثلاثة هي :

١ . معرفة اللغات الضرورية .

٢ . دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها عن بعضها الأخر .

٣ . دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها .[٢]

وقد شارك بيكون في أفكاره [رايموند لول Raymond Lull ١٢٣٥-١٣١٦م] الذي ولد في جزيرة ميورقة الإسبانية وتعلم العربية علي يد عبد عربي وكانت له جهود كبيرة في إنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية في أماكن

[١] د. محمود حمدي زقزوق : الاستشراق .. والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، دار المنار- القاهرة- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص٥٥

[٢] السابق ، ص٣٥

مختلفة . وكان الهدف من كل هذه الجهود في ذلك العصر وفي العصور التالية هو التنصير ، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلي الدين النصراني .

وقد صادق مجمع " فيينا " الكنسي في عام١٣١٢م علي أفكار بيكون ولول بشأن تعلم اللغات الإسلامية ، وتمت الموافقة علي تعليم اللغة العربية في خمس جامعات أوربية هي جامعات باريس ، وأكسفورد ، وبولونيا . وسلمنكا ، بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية [kurie] . وقدر لرايموند لول أن يعيش حتى يشهد تحقيق حلم طالما نادي به ، وكان يعتقد أن الوقت بذلك قد حان لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير ، وبذلك تزول العقبة الكبيرة التي تقف في سبيل تحويل الإنسانية كلها إلي العقيدة الكاثوليكية .[١]

الاضطهاد المذهبي داخل المسيحية .

لم يقتصر الاضطهاد عند أتباع المسيحية علي من خالفهم في الديانة ، بل تعداه إلي من خالف مذهب صاحب السلطة منهم ، ووصل الأمر إلى نشوب حروب بين أتباع المذاهب المختلفة داخل الديانة المسيحية ، فيما عرف في أوربا بالحروب الدينية .

وكمل يقول برنارد لويس ، إن المسيحيين كانوا يتجهون بدرجة كبيرة في الحروب الدينية الداخلية ضد أولئك الذين رأوا أنهم منشقون أو هراطقة ليحملوهم علي العودة إلي المسيحية.[٢]

---

[١] د. محمود حمدي زقزوق : الاستشراق ، ص٣٦ عن : Johann Fueck : Die arabischen Studien in Europa, Leipzig 1955, p. 21 – 22.

[٢] الإسلام وأزمة العصر، ت أحمد هيكل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٤م ، ص١٥٤

وفيما يأتي دلالات تاريخية لهذا النوع من الاضطهاد .

اضطهاد الأريوسيين .

أما الأريوسية ، التي اشتقت اسمها من أريوس القس السكندري ، فقد أصرت علي التمييز الشديد بين الله والمسيح وهو المذهب الذي تعمد عليه الإمبراطور قسطنطين وهو علي فراش الموت علي يد أسقف أريوسي ، ومال أبناؤه الذين خلفوه إلي التعاطف مع المذهب الآريوسي . وبمجي العقد الخامس من القرن الرابع أصبح الموقف حرجا بالنسبة للأرثوذكسية فقد أخرست الدولة كل الأصوات التي أرتفعت مؤيدة لقرارات مجمع نيقية[التي أدانت الآريوسية] ومحتجة علي تدخل الحاكم العلماني في الشئون الكنسية ، بينما كانت هناك وظائف أسقفية كبيرة عديدة خالية ، أو يشغلها الآريوسيون أو من يتعاطف معهم علي الأقل . ولم يطرأ أي تحسن علي حظ الفريق الأرثوذكسي سوي في العقد السابع من القرن الرابع ، وكان سبب ذلك ببساطة هو أن أباطرة تلك الفترة صاروا متعاطفين مع عقائدهم ومن ثم تزايد عداؤهم رويدا رويدا للآريوسية . [١]

وفي مطلع العقد الثامن من القرن الرابع أُدينت الآريوسية إدانة صريحة من الإمبراطور الأرثوذكسي ثيودوسيوس الأول[العظيم] ولم تقم لها قائمة بعد هذه الإدانة . وأخيرا شن هذا الإمبراطور حملة عنيفة سنة٣٨٣ وسنة٣٨٤ للقضاء علي معاقل الأريوسية في النصف الشرقي من الامبراطورية كما أصدر المراسيم التي تحرم اجتماعات هذه الطائفة.[٢]

اضطهاد الدوناتيين .

أما المذهب الدوناتي فكان أكثر أهمية بالنسبة للمسيحيين في الكنيسة

[١] كانتور: التاريخ الوسيط ، ص٨٨

[٢] نفس السابق.

الغربية ، إذ أدي هذا المذهب إلي اندلاع النزاع بين الدوناتية والكاثوليكية وهو النزاع الذي استمر منذ القرن الرابع حتي القرن السادس عشر وتخللته فترة من الهدوء من سنة ٧٠٠الي سنة ١٠٥٠ . وهذا هو النزاع الأساسي في الكنيسة الغربية . ففي القرن الرابع كان المذهب الدوناتي محدودا بإطار مكان مولده في شمال أفريقيا [الجزائر وتونس حاليا] حيث كان المجتمع القديم ذو الطابع الحربي ينقسم إلي كنائس تتبع الإيمان القويم وكنائس منشقة . وقد اشتق المذهب الدوناتي اسمه من الأسقف دوناتوس Donatus الذي كان أحد مؤسسيه. وكان هذا المذهب هو أحدي النتائج غير المباشرة لاضطهادات دقلديانوس ؛ فقد كان حاكم ولاية أفريقيا متساهلا تماما ، إذ كان يطلب من المسيحيين مجرد التنصل الرمزي من دينهم بتسليم كتبهم المقدسة له . وركن المسيحيون الأغنياء الي هذا التصرف . ولكن حينما انحسرت موجة الاضطهادات وجدوا أنفسهم متهمين بالخيانة من قبل جماعة المتعصبين الذين كان معظمهم من أبناء الطبقات الفقيرة والذين طلبوا أن تقتصر عضوية الكنيسة علي القديسين الإبطال الذين لم يخونوا دينهم علي أي وجه . [١]

وزعم المتزمتون أن أولئك الخونة خسروا رحمة الرب ، ولم يعودوا مسيحيين ، كما طلبوا أن تتم الأسرار المقدسة علي أيدي قساوسة طاهري الأرواح ، واعتبروا أن الأسرار التي تتم علي أيدي قساوسة غير جديرين بذلك تعتبر باطلة . أما الأغلبية الكاثوليكية فقد ظلت علي اعتقادها بأن صحة الأسرار المقدسة تتوقف علي منصب القسيس وليس علي صفاته الشخصية وكان هذا الأمر هو نقطة الخلاف . كنيسة من القديسين في مواجهة كنيسة كاثوليكية لكل العالم . [٢] .

[١] كانتور: التاريخ الوسيط ، ص ٧٧ .

[٢] كانتور: التاريخ الوسيط ، ص٧٧.

اضطهاد الألبيجينسيين Albigenses .

ومن الطوائف التي تعرضت للاضطهاد ، بل الإبادة ، طائفة الألبيجينسيين فقد دعم الباب أنوسنت [١١٦١ . ١٢١٦م /٥٥٧ . ٦١٣هـ] ـ كما يقول إيرل كيرنز . حمله صليبية بقيادة سيمون دي مونتفورت ضد الألبيجينسيين في جنوب فرنسا في سنة ١٢٠٧م/٦٠٤هـ ... فأبادت كل الألبجينسيين تقريبا بعد سلسلة من المعارك الدموية . وقد أيد كل من الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان هذه الحملة بكل قوة لأنهم رأو أن الهراطقة مثلهم مثل الحكام الزمنيين يجب أن يحنوا رؤوسهم أمام الرأس الأعلى للكنيسة في روما[١]

اضطهادات لمذاهب وطوائف أخري

ومن ذلك الحروب الدينية التي أهلكت فيها الامبراطورة تيودورا وحدها نحو مائة ألف من المانويين في أواسط القرن التاسع ، كما أهلك الكاثوليك من البرتستانت في مذبحة سانت بارتلمي مائه ألف أيضا ، وكذلك أعمال ديوان التحقيق الديني الذي قتل في أسبانيا وحدها . كما قال ريناخ . نحو مائة ألف إنسان علي أقل تقدير .[٢]

---

[١] في كتابة المسيحية عبر العصور ، عن د/ إمام الشافعي محمد حمودى ، السابق ، ص ٢٦٠

[٢] عن محمد كره على : الإسلام والحضارة الغربية ، ص ١٥ .

وأيضا تلك المذابح العظيمة التي قامت في الغرب تنفيذا لرغبة الباباوات في قتل الملحدين ، ومنها ما قضي علي أقاليم برمتها بالخراب ، كالخراب التي أعلنها البابا إينوسانت الثالث سنة ١٢٠٨م فخرب جنوبي فرنسا وأقفرت مدن برمتها ومنا كركاسون وبزيه ، وكالحرب التي أثارها الكاثوليك علي البرتستانت المفرطين في طلب الاصلاح فقتل فيها ١٦٠الفا . وأهلك توركمادا الدومنيكي الأسباني[١٤٢٠ . ١٤٩٨] ستة الآف بالنار ، وطلب جزاء عمله منصب كردينال من البابا ، وقد حكم علي ٨٨٠٠ بالحرق ، وعلي٩٦٥٠٤ بعقوبات أخري ، وكانت الحكومة تحميه بخمسين فارسا ومائتي راجل. وكانت الأرواح لا قيمة لها في نظر المدافعين عن المعتقدات ، إذ يرون القسوة فضيلة يثاب عليها فاعلها . [١]

[١] عن محمد كره على : الإسلام والحضارة الغربية ، ص١٥-١٦

تحرير الشعوب وإقامة العدل

كانت إمبراطوريات العالم القديم ، الرومانية واليونانية والفارسية ، تسيطر على معظم العالم المكتشف آنذاك . قبل الإسلام . وتقع شعوبه بين الاضطهاد والإستعباد ، كذلك تنهب ثرواته ، وتدمر حضارته . وكانت تلك الإمبراطوريات تتناوب على بلدان هذا العالم ، مغالبة أو مصالحة .

[ويمكن أن نقسم غير الرومانيين . كما يقول تشارلزورت . إلي فريقين ، أهل الشرق وأهل الغرب . أما أبناء الشرق فقد كانوا أكثر تمديناً وأعظم جداً ونشاطاً فضلا عن إيمانهم بتراثهم الحضاري العريق ، وضم الشرق شعوب مصر واليهودية وسوريا وأسيا الصغرى وبلاد اليونان الأصلية ، وكانت هذه مجموعة متباينة عجيبة من الشعوب والألسنة][١]

ويصف كانتور الرومان القدماء بأنهم [كانوا وحدهم بين كل شعوب البحر المتوسط الذين يتمتعون بصفات التضحية بالنفس والجسارة ، وجنون العظمة وانعدام الرحمة ، والقسوة بالقدر الذي جعلهم يخلقون إمبراطورية عالمية ، ففي مطلع القرن الثاني كان الإمبراطور الروماني يحكم دولة عالمية عظمي تمتد من الفرات حتى اسكتلندا ، ومن الدانوب حتى الصحراء ، وفي هذه المناطق عاشت مجموعات جنسية ولغوية وحضارية تتباين فيما بينها تباينا كبيراً ، ولكن اللغة اليونانية الهلينسية كانت هي اللغة السائدة في النصف الشرقي من الإمبراطورية بينما كانت اللغة اللاتينية سائدة في الغرب ، وعلي قمة هذا الصرح الضخم تربع

---

[١] تشارلز ورث : الإمبراطورية الرومانية ، ص٦٤

[2] التاريخ الوسيط .. قصة حضارة البداية والنهاية ، ت د. قاسم عبده قاسم ، دار المعارف – مصر – ١٩٨١م ، ص٣٩-٤٠

الإمبراطور الذي كان في القرن الثاني حاكما مستبداً مطلقا تحيط به مظاهر توحي بصفاته المقدسة.[١] وهذه القدسية لم تزول من هذا المنصب الإمبراطوري حتى بعد أن أصبحت الإمبراطورية ذات ديانة سماوية وهي المسيحية ، فنجد مثلاً الإمبراطور باسيل الأول [٨٦٧ ـ ٨٨٦ م] يقول لابنه : إنك تلقيت الإمبراطورية من الله] . [٢]

وعلي المستوي الاجتماعي [كانت الدعارة واحدة من أكثر المهن رواجا وتنظيما ، كما كان الشذوذ الجنسي متفشيا في أوساط الارستقراطية الرومانية علي سبيل تقليد المجتمع اليوناني . وفي عصر الإمبراطور أغسطس أشار الشاعر هوراس [Horace] في إحدي قصائده إلي أنه يفضل الغلام علي المرأة في كل وقت . ولم يقدر المؤرخون النتائج الاجتماعية المترتبة علي الفساد الجنسي حق قدرها . وفيما يتعلق بالامبراطورية الرومانية فإن السؤال يمكن أن يطرح عما إذا كان للدعارة والشذوذ الجنسي تأثير سلبي علي أداء العائلة الارستقراطية لوظائفها . فقد ساهمت العائلة الارستقراطية مساهمة قوية للغاية في أعمال الجمهورية الرومانية القديمة . ويمكننا ، علي الأقل ، القول بأن الشذوذ الجنسي إذا لم يكن سببا للفساد الاجتماعي ، فهو من أعراض فساد النظام الاجتماعي والأخلاقي وعجزه عن أداء وظيفته في المجتمع] [٣]

2] التاريخ الوسيط .. قصة حضارة البداية والنهاية ، ت د. قاسم عبده قاسم ، دار المعارف – مصر – ١٩٨١م ، ص٣٩-٤٠

[٢] جرونيباوم : حضارة الإسلام ، ت عبد العزيز توفيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ص٢٥

[٣] كانتور : التاريخ الوسيط ، ص٥١.

الاحتلال اليوناني ـ الروماني .

لعل ما ترتكز عليه نظرة الغرب الحديث للعالم وعلاقته به ، من استعلاء وهيمنة وتهميش للشعوب الأخري ولدورها الحضاري ، لعل هذا يمثل أحد موروثات الغرب الحديث عن العالم اليوناني القديم – بواسطة الإمبراطورية الرومانية والذي كون إمبراطورية كبري بقهر الشعوب واحتلال أراضيها وسلبها حريتها ، وطمس حضارتها ، وباعتبار أن شعب اليونان أرسل ليحكم هذا العالم . وهذه قاعدة غرسها فيلسوف اليونان الشهير أرسطو في تلميذه الإسكندر المقدوني ، الذي حاول تحقيقها علي أرض الواقع وحكم هذا العالم ."

يقول المستشرق الروسي بارتولد : [ينقسم جميع سكان العالم ـ ماعدا اليونان . في نظر أرسطو إلي البرابرة الشجعان المقيمين شمالي أوربا القاصرين علي التحضر وإدارة الدولة ، والآسيويين المتحضرين المحرومين من الشجاعة . وتقع اليونان بينهم ، وإقليم بلادهم يلائم تقدم الحضارة والمحافظة علي الشجاعة فلذا أرسل هذا الشعب ليحكم العالم ولقد حقق الإسكندر المقدوني خيال أرسطو هذا بعض التحقيق ، فان فتوح الإسكندر الشرقية أخضعت الشرق الأدني ومصر لليونان من الجهة السياسة والحضارية ، وأوجدت حضارة شرقية متأثرة باليونان متغرقَّة][١]

[لقد أدت فتوح الإسكندر الأكبر وفتوح الرومان كمل يقول توينبي إلي انتشار الحضارة اليونانية الرومانية في معظم بلاد العالم القديم في الهند وفي الجزائر البريطانية ، بل لقد وصلت إلي الصين واسكندیناوه . ولم يبق بمعزل عن التأثر بها في ذلك العصر إلا حضارة أمريكا الوسطي وحضارة بيرو] ، [وحينما

---

[١] فاسيلي بارتولد :تاريخ الحضارة الإسلامية ، ت حمزة طاهر ، دار المعارف – مصر ـ ص٣٦.

ننظر خلفنا إلي تاريخ العالم اليوناني الروماني خلال القرون الأربعة الأخيرة [ق.م] فإن حركة هذا الانتشار والتغلغل هي التي تبرز الآن فوق ما عداها .أما الحروب والثورات والأزمات الاقتصادية التي كانت تضطرب علي سطح التاريخ اليوناني الروماني خلال هذه القرون وتشغل كثيراً من اهتمام الرجال والنساء الذين كانوا يكافحون في سبيل الحياة خلالها ، فإنها لا تعنينا اليوم كثيراً بالقياس إلي ذلك التيار الثقافي اليوناني العظيم الذي غزا أسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وبابل والفرس والهند والصين] [١]

هكذا .. مقاومة الشعوب المقهورة في سبيل الحياة ، لا تعني هؤلاء المحتلين . لقد عمل اليونانيون والرومانيون علي تخريب وتدمير البلاد التي يحتلونها ، وعلي طمس هويتها ، ومحو حضارتها ، فهذه سياسة الاستعمار في كل أزمنة وأمكنته . لم يختلف بين القديم والحديث ، يقول تشارلزروث [لقد آلت إلينا وثيقة مؤثرة ، كانت بمثابة صرخة ألم أخيرة أطلقها مصري عاش في القرن الثالث، كان يشعر أن اليونانيين والرومانيين يحطمون كل ما هو مصري وكل ما هو مقدس وكل ما هو شائق طريف ويهوون به إلي هاوية الفناء والعدم . لقد كتب يقول : سيحين الوقت الذي يبدو فيه أن مصر أكرمت آلهتها عبثا طيلة هذا الزمن بدافع من ورعها وتقواها . سيترك الآلهة هذه الأرض ويعودون إلي سماواتهم ؛ لأن الغرباء يملئون هذه البلاد وهذه الأرض ، ولن يطوي النسيان الدين فحسب ، بل الأدهي أنه سيحرم علينا باسم القانون وتحت التهديد بالعقوبات الرادعة ، كل ورع وعبادة ونسك . وهكذا ستمتلئ بالقبور والأموات هذه الأرض المقدسة كل التقديس ، الأرض التي كانت مهداً للهياكل والمعابد ؛ أيا مصر! أيا مصر ! لن يبقي من كل

[١] أرنولد توينبي : الحضارة في الميزان ، ت أمين محمود الشريف، عيسى البابى الحلبى – القاهرة – بدون تاريخ الطبع. ، ص١٩٢

صلاحك سوي أحجار صماء ، لن يؤمن بها أبناؤك ولن تبقي غير ألفاظ منحوتة في الصخر تحكي قصة أعمالك الصالحة] [١]

لقد قام الاحتلال الروماني ـ في جانبه الاقتصادي ـ علي استغلال ونهب موارد البلاد المحتلة ، مما كان له بالغ الأثر علي تلك البلاد اقتصادياً واجتماعياً [ففي مصر كان يقبع مخزن الغلال التابع لروما ، وما كان الرومانيون ممن يتهاونون في المطالبة بحقهم كاملا ."كانت روما بمثابة مالك متغيب ، وكان جانب عظيم من القمح الذي سلبه مستأجروا الأراضي الملكية إيجاراً لأراضهم ، أو يقدمه ملاك الأراضي ضريبة علي أرضهم ، يرسل جميعه ، بالإضافة إلي الضرائب النقدية إلي روما لينفق لمصلحة الشعب الروماني فتتمثل فيه خسارة تامة لمصر " ، ولم يكن للفلاحين إزاء هذا الاستغلال المنظم إلا أن يلجأوا في النهاية إلي سلاح واحد هو سلاح التهديد بترك أرضهم دون زرع ، أي التهديد بالإضراب وكانت ترد من وقت لآخر الأوامر والمنشورات من الحكام يهيبون فيها بالفلاحين الساخطين العودة إلي زراعة أراضيهم ومواصلة أعمالهم ، أن قصة مصر الرومانية "لقصة مؤسفة تتمثل فيها ضروب من الاستغلال وقصر النظر أدت في النهاية إلي النتيجة الحتمية لها وهي الانهيار الاقتصادي والاجتماعي . ولا غرابة في أن أصبح المصريون يكنون للحكومات دائما أشد الحقد ، وذهب الأمر إلي حد أن الإدارة الرومانية كانت تشدد الرقابة علي الكهنة المصريين أنفسهم " . [٢]

وفي شمال أفريقيا أدي فساد الإدارة الرومانية وحروب السكان الأصليين مع المحتل الروماني ، والأوبئة والهجرات إلي خراب البلاد وفناء الملايين

[١] أرنولد توينبي : الحضارة في الميزان ، ص٦٧

[٢] تشارلزورت : الامبراطورية الرومانية ، ص٦٦-٦٧

من سكانها .

يقول توماس أرنولد : "خلال القرن الذي انقضي قبل قدوم المسلمين ، حدثت غارات قام بها البرابرة من قبائل المغرب الذين قطعوا الطريق علي الرومان في المدن وغيرها من المراكز الآهلة بالسكان ، واحتفظوا لأنفسهم بالجبال والصحراء والبلاد المكشوفة ، وأن انتشار الفوضى وفساد الأداة الحكومية ، فضلا عن تفشي الأوبئة الفتاكة التي تميز بها النصف الثاني من القرن السادس ، كل هذه الأمور تضافرت علي استمرار أعمال التخريب . وقد قيل إن الحروب وحكومة الإمبراطور جستنيان قد أفنت خمسة ملايين من الإفريقيين ، وهجر المواطنون الذين كانوا أيسر حالا بلاداً كانت فيها التجارة والزراعة من قبل مزدهرة أيما ازدهار. ولكنها أصبحت الآن خراباً لا سبيل إلي علاجه .وهكذا تم خراب إفريقية ، حتى إن الغريب كان يطوف في كثير من أنحائها أياما كاملة دون أن يصادف وجه صديق أو عدو .. لقد زالت أمة الوندال ، وكان قد بلغ عدد أهلها من قبل مائة وستين ألفاً من المحاربين ، عدا الأطفال والنساء والعبيد ، وكانت تزداد جموعهم زيادة لا حد لها ، بانضمام عدد من العشائر البربرية التي انقرضت في إحدى الحروب الطاحنة الدامية كذلك حل الدمار نفسه بالرومان وحلفائهم الذين أهلكهم المناخ والمنازعات المتبادلة وثورة البرابرة " [١]

الاحتلال الفارسي .

لم يكن الفرس بأقل من الرومان طموحاً في توسيع إمبراطوريتهم وبسط نفوذهم علي حساب شعوب وبلدان مستضعفة ، لا تملك الدفاع عن نفسها ، تقع تارة في نفوذ الرومان ، وتارة أخري في نفوذ الفرس ، من أمثال بلدان أسيا

[١] الدعوة إلي الإسلام ، ت حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٧٠ ص١٤٦ .

الصغرى والشام وفلسطين ومصر ، كذلك لم يكن الفرس أقل وحشية من الرومان في تعاملهم مع هذه الشعوب ، ولا أقل استغلالاً ونهباً لتلك البلدان.

وكان الصراع بين هاتين الإمبراطورتين مستمراً علي تلك الفرائس والغنائم التي لا تملك من وسائل الدفاع عن نفسها شيئاَ

ومن نماذج الوحشية التي مثلت نهج الفرس مع الشعوب المحتلة ومقدساتها ما تجلى في احتلالهم لبيت المقدس [فقد استولي الفرس علي المدينة عام [٦١٤ وقيل ٦١٥م] وأبادوا خلال ثلاثة أيام عددا كبيرا من سكانها ثم أشعلوا فيها النيران .وتروي المصادر وعلي رأسها الأنبا اسطراط أن الفرس كانوا يقتلون كل من يلقوه من أهل المدينة بحقد شديد وبلا رحمة ، وأنهم دخلوا ديرا يقال له دير العذارى ـ يقع إلي الشرق من المدينة المقدسة ـ وكان به ما يقرب من أربعمائة راهبة ، فتعرض الفرس لهن ، وجعلوا يتقاسمونهن فيما بينهم . وعمل الفرس علي تخريب الكنائس والهياكل ، وأشعلوا النيران في كنيسة القديس ستيفن St stephenولم يفلت من أيديهم سوي كنسية المهد في بيت لحم ، وذلك بسبب ما كان يعلو بابها من فسيفساء تمثل صورة الحكماء القادمين من الشرق في ثياب فارسية .

وهكذا عانت مدينة بيت المقدس من وحشية الفرس ، ومن نهبهم وسلبهم لها ، ومن قتلهم لسكانها ومن إشعال النيران فيها ، وقدر المؤرخون عدد القتلى بما يتراوح بين ٥٧ألفا و ٩٠ألفا . أما الأسري فقد قدروا عددهم بـ ٣٥ الفا . ومما لاشك فيه أنهم يبالغون في ذلك.] [١]

كذلك مارس الفرس وحشية بالغة أثناء احتلالهم لمصر ، فقد بدأ زحف

[١] د ليلي الجواد : الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، دار النهضة العربية – مصر– ١٩٨٥م ، ص٢١٥-٢١٦

الفرس علي مصر في ٦١٦م ، ودخلوها من ناحية غزة والصحراء ، وبدأوا بالاستيلاء علي العريش ثم الفرما ثم تابعوا الاستيلاء علي بقية المدن ، وقد تعامل الفرس بكل قسوة مع سكان مصر .

فيذكر ساويرس أن الوالي الفارسي ، نائب كسري ومقدم الحرب، أمر كل شاب في مدينة الإسكندرية ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ـ ٥٠ عاما أن يخرجوا ليأخذوا عشرين ديناراً ، وعندما اجتمع شباب المدينة كتب أسماءهم ، وهم يظنون أنهم يأخذون العطية التي وعدهم بها ، ولكن عندما علم بخروجهم جميعا ، أمر جيشه أن يحيط بهم ويقتلهم جميعا بالسيف ، وبلغ عدد من قتلهم ثمانية آلالف رجل " [١]

"وعندما وصل القائد الفارسي مدينة نقيوس [أبشادي مركز تلا بمحافظة المنوفية] أخبره قوم بالمدينة عن جماعة من الرهبان ، يعيشون في الجبال ، يقدر عددهم بسبعمائة راهب ، وأن لديهم أموالا كثيرة ، وأنهم يحتمون في حصن ، فأرسل القائد الفارسي جيشه ، فأحاط بهم وحاصرهم وقتلهم جميعا ولم يبق أحدا منهم ". [٢]

تبادل البلاد المحتلة بين الفرس والروم .

هذا الصراع الذي سبق الإشارة إليه ، قد يتحول إلى الصلح وموادعة ، ولكن أيضا علي حساب تلك الشعوب المستضعفة ، إذ لا تمنح هذه الشعوب استقلالها وتعطي حريتها بموجب هذا الصلح ، وإنما تنتقل هذه الشعوب من جحيم الفرس إلي جحيم الروم .

فقبيل الصلح التاريخي بين الإمبراطوريتين الذي تم في عام٦٢٩م ، أرسل

[١] د ليلي الجواد : الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور ، ص٢٢٣

[٢] السابق ، ص٢٢٥

هرقل ممثله Eustathius محملا بهدايا كثيرة إلي شيرويه وعهد إليه بحمل شروط الصلح الممثلة في إعادة الحدود إلي ما كانت عليه في عام [٥٩١م] والمتفق عليها بين كسري وموريس ، وبالتالي الجلاء عن جميع الأراضي التي احتلها الفرس ، وإطلاق سراح الأسري مع الضمانات الكافية لعودتهم أمنين سالمين إلي أوطانهم ، فضلا عن إعادة عود الصليب ، الذي سبق أن أخذه شهرباراز من بيت المقدس ، في عام ٦١٤م . كما يذكر Sebeos ، وقد تم قبول الشروط جميعا ورجع الرسول محملاً بالهدايا ، وبهذا الصلح انتهي ذلك الفصل الطويل من الحروب الفارسية البيزنطية وانتهت به أيضا صفحة من صفحات النزاع بين الشرق والغرب . وعاد هرقل إلى القسطنطينية في السنة السابعة بعد أن قضي ست سنوات في حروبه مع الفرس".[١]

وكان هذا الاتفاق قد تم في يوليو ٦٢٩م واستعادت الامبراطورية البيزنطية بمقتضاه أرمينية الفارسية ومابين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر ، وباقي الأشياء السابقة ، [وذلك لأنه خلف شهر باراز علي عرش فارس بور . أو بوران . ابنة كسري ابرويز من ماريا ابنة الإمبراطور موريس [٥٨٢ . ٦٠٢ م] ، ويذكر اليعقوبي أنها وادعت ملك الروم ، أي أنها عقدت الصلح النهائي مع الإمبراطور هرقل ، ومن بعدها أخذت الامبراطورية الفارسية في الضعف] [٢]

وكانت الحرب قد" استمرت بين الإمبراطوريتين ٢٤سنة ، بينما استمر الهجوم البيزنطي المضاد ست سنوات " [٣]

لقد كانت هناك عقيدة ذات أبعاد مختلفة أهمها البعد الديني – لدي هاتين

[١] د ليلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور ، ص٢٧١-٢٧٢

[٢] السابق ، ص٢٧٩ ، ٢٨٢

[٣] السابق ، ص٢٨٢

الإمبراطورتين ، تجعل منهم أوصياء علي العالم ، وكابحين لجماحه

"فهذا ثيوفلاكتوس السيموكتي الذي اشتهر في عهد الإمبراطور هرقل حوالي [٦١٠ . ٦٤٠ م] يجعل الملك الفارسي في عهد كسري الثاني يكتب للإمبراطور موريكيوس هكذا : "إن هناك عينين اثنتين وكلت إليهما القدرة الإلهية أن يبصرا العالم : هما قيصرية الروم القوية ، وإمبراطورية الفرس ذات الحكومة الرشيدة . فعلي يد هاتين الإمبراطوريتين العظيمتين يكبح جماح الشعوب المتبربرة المحبة للحرب ويتسنى للبشرية حكم أفضل وأشد أمناً في كل مكان. [١]

ما أشبه اليوم بالبارحة .. تغزو القوي الغربية الشعوب المستضعفة في العالم الإسلامي وغيره بنفس هذه الحجة القديمة : كبح جماح الشعوب المتبربرة المحبة للحرب [قديما] محاربة الإرهاب [حديثاً] ، ويتسنى للبشرية حكم أفضل [قديماً] =الديمقراطية [حديثا] ، وأشد أمنا في كل مكان [قديما] = نشر السلام [حديثا] .

تغيرت الأسماء ، ولم يتغير المسمي. تبدلت الإشكال والوسائل ، ولم يتبدل المضمون.

التحرير الإسلامي للشعوب المستضعفة .

لما كان هذا حال الشعوب المستضعفة تحت تلك القوي المستبدة ولما كان الإسلام ديناً للعالمين ، ومن أهم مبادئه رفع الظلم عن العباد ومنحهم حرياتهم ، وخاصة حرية العقيدة ، لما كان هذا لبى المسلمون نداء تلك الشعوب ، ورفعوا الظلم عنها ومنحوها حريتها، وقد اعترف كبار المؤرخين والساسة العالميون بأن ما قام به المسلمون تجاه تلك الشعوب هو تحرير وليس غزو.

يقول توينبي : [في القرن السابع من العصر المسيحي حرر العرب

[١] جرونيباوم : حضارة الإسلام ، ص٧٦

المسلمون سلسلة من البلاد الشرقية من النفوذ الإغريقي الروماني ، وتمتد هذه السلسلة من سوريا شرقاً عبر شمال إفريقيا ومنها إلي إسبانيا ، مع أنها بقيت تحت حكم اليونان أو الرومان قرابة ألف عام ، أي منذ قهر الإسكندر الأكبر الإمبراطورية الفارسية ، وتغلب الرومان علي قرطاجنة [١]

ويقول نفس هذا المؤرخ في موضع أخر: لقد [حرر] العرب المسلمون الأول في القرن السابع الميلادي الشرق الأوسط من الحكم اليوناني الروماني في نفس المدة القصيرة التي فتحه فيها الإسكندر قبل ذلك بألف عام. [٢]

وفي الثامن من أكتوبر سنة ٢٠٠٢ ذكر رئيس وزراء فرنسا، جان – بيير رافاران ، في كلمة له أمام الجمعية الوطنية الفرنسية ، كيف استطاع صلاح الدين هزيمة الصليبيين في الجليل وتحرير القدس ، ومما يثير الاهتمام كما يقول برنارد لويس استخدام رئيس وزراء فرنسي لكلمة تحرير لوصف استيلاء صلاح الدين علي القدس وانتزاعها من يد الصليبيين ، وقد يكون ذلك تعبيراً عما نشهده اليوم من إعادة تنظيم الصفوف ، أو ربما يكون حالة من اللياقة السياسية المبالغ فيها . وقد تعزي مثل هذه الصياغة في بلدان أخري إلي الجهل بالتاريخ ولكن الأمر ليس كذلك في فرنسا بكل تأكيد " [٣]

---

[١] ارنولد توينبي : العالم والغرب ، ص٢١-٢٢

[٢] ارنولد توينبي : الحضارة في الميزان ، ص١٩٣.

[٣] برنارد لويس : الإسلام وأزمة العصر ، ت أحمد هيكل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ ، ص٨٦

ترحيب الشعوب بالتحرير الإسلامي لبلادهم .

ولما كانت تلك الشعوب قد ذاقت العذاب ألوانا تحت هذا المحتل اليوناني – الروماني – الفارسى ، مئات السنين ، ثم سمعت وعاشت هذا التسامح الذي لم تر شيئاً منه من قبل ، رأيتها ترحب بهؤلاء الفاتحين الذين نهجوا هذا التسامح ، بل رأيتها أحيانا تستغيث بهؤلاء الفاتحين لتنعم في ظلهم بهذا التسامح ، بل لقد قام الكثير من تلك الشعوب بمساعدة هؤلاء الفاتحين وفيما يأتي بعض الدلالات التاريخية علي ذلك :

يقول البلاذرى : [إنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا علي أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم علي أمركم ، فقال أهل حصن : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشوم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوه . والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم علي المسلمين صرنا إلي ما كنا عليه وإلا فإنا علي أمرنا ما بقي للمسلمين عدد ، فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين فلعبوا وأدوا الخراج] [١]

وقد أقر بعض كبار المؤرخين العالميين حقيقة ترحيب شعوب البلدان المحتلة بالتحرير الإسلامي لبلادهم ، ومن هؤلاء ستيفن رنسيمان الذي يقول ، بعد ذكره لفتح المسلمين لمملكة فارس وسوريا ومصر : [لم يحاول أهلها . يقصد مصر . المضطهدون المرهقون بالضرائب إن يحافظوا علي سيادة الإمبراطور . لذا رحب الناس في سوريا ومصر علي السواء بتغيير السيد ، معتبرين عقيدة الإسلام الدينية

---

[١] البلاذري : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٤٣

أقرب إلي عقيدتهم من عقيدة خلقيدونية . ولم تقاوم العرب غير الإسكندرية وحدها][١]

كذلك لم تسلم الشعوب والأقليات من الاضطهاد الديني من قبل السلطات الحاكمة وحتى من إخوانهم في العقيدة ، وكان ذلك من أهم الدوافع للترحيب بالتسامح الإسلامي حفاظاً علي عقائدهم ومذاهبهم ، بل طلبوا المساعدة لذلك ، ومن الدلالات التاريخية علي ذلك :

ما يذكره المؤرخ [sebeos] في كتابه [histoire d' Heraclius] ،حيث قال إن قرار هرقل بتعميد اليهود عام٦٣٢م أدي إلي فرار عدد كبير منهم الي جزيرة العرب ، وطلب مساعدة المسلمين ، كما يذكر [brehier] في كتابه [histoire] ، أنهم أثاروا المسلمين علي البيزنطيين ، وصاروا لهم أدلاء ومرشدين علي الطريق ، وأصبحوا جواسيس لهم وسماسرة ، ويعبر كاتب الـ [doctrina] عن مظاهر الفرح والسرور التي اعترت اليهود في قرطاجة لسماعهم أخبار الهزائم الأولي التي حلت بسرجيوس حاكم فلسطين البيزنطي علي يد المسلمين ويذكر وجود اليهود في صفوف المسلمين" [٢]

ومن الدلالات التاريخية علي الاضطهاد المذهبى داخل العقيدة الواحدة ، والذي أخذ هذا الاضطهاد فيها طابعا سياسيا ، كان هناك اضطهاد السلطات الحاكمة في الامبراطورية الرومانية للشعوب المحتلة ذات المذهب المخالف لمذهب تلك السلطات .

يقول كانتور [كاد الإمبراطور البيزنطي أن يكون علي الدوام في صف الأرثوذكسية إتباعا للسياسة التي سار عليها ثيودوسيوس من قبل . وكانت النتيجة

[١] رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص٣٩

[٢] عن د. ليلي عبد الجواد : الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور ، ص٢٠٢

أن رحبت الكنائس الشرقية المخالفة بالفاتحين المسلمين الذين طرقوا بلادهم في القرن السابع . وبنفس الطريقة شجعت الكنيسة الدوناتية في شمالي أفريقا الفتح العربي . وهكذا فان المنازعات المذهبية في القرن الرابع ألحقت ضررا جسيما بالمسيحية في سوريا ومصر وشمال أفريقيا فمنذ وقفت الدولة في جانب الأرثوذكسية ، علي الأقل منذ عهد ثيودوسيوس ، تحول خصومها المذهبيون إلي الفاتحين المسلمين طلبا للنجدة] [١]

لم يحدث هذا في فترة زمنية وحيدة هى فترة الفتح الإسلامي لظروف الاحتلال وأثاره ، بل تكرر مرارا بعد ذلك ، حتى العصر الحديث ، ومن ذلك ما نقله بارتولد عن [أحد مؤرخي الأديان من الروس وهو يحكي ما حدث في زمن الحروب الصليبية ، إذ قال : إن الروحانيين والشعب يرون عودة ظلم المسلمين خيراً لهم من الحياة في حكم اللاتينيين وفي القرنين [١٧ ، ١٨] التمس أرمن أجماجين من شاه إيران مرات عديدة حمايتهم من الدعاية الكاثوليكية] [٢]

بل لقد حدث هذا الأمر في قلب أوربا في العصر الحديث ، حيث لا محتل هناك ، ولكن قوة هذا التسامح وكونه منهجا للمسلمين جعله يغزو الآفاق ، وتتمناه شعوب مسيحية ضد حكامها المسيحيين الوطنيين ، كما جاء في هذه الدلالة التاريخية التي ساقها المستشرق مكسيم رودنسون ،إذ قال : [إن مثل هذه المساومات التي حدثت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر كانت قد جرت أمثالها في الشرق أيام الدول الصليبية ، لكنها كانت ضمن إطار سياسية المستعمرات الصليبية ، أما أن تحدث مثل هذه الأمور في قلب أوربا فأمر يختلف ففي إيطاليا عبرّت كثير من الأقاليم لحكومتها المستبدة عن أنها ترحب من كل قلبها

[١] التاريخ الوسيط ، ص٨٩

[٢] فاسيلي بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٦٠

بغزو تركي ، مثلما فعل بعض البلقانيين المسيحيين. [١]

التسامح الإسلامي مع الشعوب المحررة .

لقد ضرب المسلمون نموذجا متفرداً في تاريخ البشرية . من خلال تطبيق منهج الإسلام في معاملة الأخر . كفاتحين ومحررين لشعوب ذاقت العذاب ألوانا تحت المحتل [اليوناني . الفارسي – الروماني] قرابة ألف عام] [٣٣٢ق م . ٦٤٠م] . ولم يكن السيف أو أي أنواع القهر هو سلوكهم مع هذه الشعوب خاصة في نشر دعوتهم إلي الإسلام.

و[منذ زمن بعيد – كما يقول كانتور – تم دحض وتفنيد الأسطورة التي تزعم أن العرب اندفعوا بالسيف في يد والقرآن في اليد الأخري ، يخيرون شعوب البحر المتوسط بين اعتناق الإسلام أو الموت ، فالحقيقة أن المسلمين تسامحوا مع من قهروهم من المسحيين واليهود ، ولم يفرضوا سوي ضريبة الجزية وبعض القيود علي الحقوق السياسية لأولئك الذين لم يعترفوا بأن محمداً عليه الصلاة والسلام نبي الله . وهكذا لم يحاول المسلمون إجبار رعاياهم علي اعتناق الإسلام] . [٢]

وهذا ما تؤكده المواقف المحايدة للكثير من الكتاب والمؤرخين غير المسلمين ، ومن هؤلاء الكاتب الأمريكي مايكل هارت ، الذي قال : [لم يفرض الإسلام علي أحد بالقوة][٣]

ويعقد المؤرخ العالمي جيبون مقارنة بين المنهج اليهودي في غزو البلاد وهو المنهج الذي يؤمر به من يؤمن بـ [الكتاب المقدس] ، باعتبار هذا المنهج

---

[١] مجموعة من المستشرقين : تراث الإسلام ، ت د. محمد زهير السمهورى وآخرين ، سلسلة عالم المعرفة ، صفر ١٤١٩هـ/ مايو. يونيه ١٩٩٨م ، ج٢ ص٥٥

[٢] كانتور : التاريخ الوسيط ، ص٢٣٤

[٣] عن د . إمام الشافعي محمد : كتابات المؤرخين النصارى عن التاريخ الإسلامى في القرن السابع ، ص٢٦٠

نص عليه [الكتاب المقدس] في عهده القديم تفصيلاً ، وبين المنهج الإسلامي في فتح البلدان أو تحرير الشعوب ، يقول جيبون : [سار رب الجيوش بنفسه علي رأس الكتائب اليهودية ، وإذا امتنعت بلدة أعمل السيف في جميع الذكور دون تمييز وقد كتب الدمار علي القبائل السبع في كنعان ، وما كانت التوبة ولا التحول الي الديانة اليهودية بمناعتهم من مصيرهم المحتوم ، وهو ألا يترك مخلوق حيا داخل حدودهم . أما أعداء محمد فقد عرض عليهم اختيار عادل : الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال .فان هم اعتنقوا الإسلام ، حظوا بالمزايا المادية والروحية نفسها التي حصل عليها أتباعه الأول ، وساروا تحت اللواء ذاته لينشروا الدين الذي اعتنقوه . وكانت مصلحة النبي تملي عليه سماحته . ومع ذلك فيندر أن يكون قد وطئ بقدميه عدوا ذليلا . ويظهر أنه بعد دفع الجزية يستطيع أقل رعاياه كفراً وإثماً أن يستمروا علي عباداتهم أوعلي الأقل عقيدتهم المعيبة] [١]

وعلي الرغم من أن الكثير من كتابات وتقيمات الكاتب الأمريكي اليهودي برنارد لويس ضد الإسلام والمسلمين ، إلا أنه لم يستطع أحيانا أن ينكر التسامح الإسلامي مع شعوب البلدان المحررة ، ومن ذلك قوله أن [الدين جوهر ذاتية المسلم ، وذاتية الآخرين أيضاً ، وكانت دار الإسلام هي قوام المتحضر الذي تحكمه حكومة مسلمة ويسوده قانون إسلامي ، وأقليات غير مسلمة تتمتع بسماحة دولة الإسلام وبظروف وافقت عليها ، والفارق الأساسي بين هؤلاء والعالم الخارجي يرتكز في قبول أو رفض رسالة الإسلام] [٢]

---

[١] جيبون : إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ت د. محمد سليم سالم ، الألف كتاب [الثانى]- ٢٦٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ج٣ص٤٥

[٢] اكتشاف المسلمين لأوربا ، ت د. ماهر عبد القاهر ، المكتبة الأكاديمية- القاهرة- ط أولى ، ١٩٩٦م ، ص١٩٣

يقول انتوني بلاك : [تحت الحكم الإسلامي كان معروضاً علي المسيحيين واليهود والزرادشتيين أن يكونوا بوضع الرعايا المحميين [الذميين] مقابل دفع ضريبة الأرض. وكان مسموحاً لهم بالعبادة والعيش وفقا لشرائعهم الخاصة ، وأحيانا ضمن مجموعات ذاتية الحكم جزئيا] [١] ويقر بذلك أيضا المستشرق الروسي بارتولد الذي يري أن[النصاري كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين] . [٢]

ويقول بارتولد : [مهما يكن من شئ فإن النصاري الذين عاشوا في حكم المسلمين لم يصبهم قط ماأصاب المسلمين في أسبانيا من الظلم والعدوان ولم يكن بوجه عام ، يطلب إلي الأقوام غير الإسلامية تنفيذ الشروط حرفيا كارتدائهم ثوباً مميزا لهم طبقا لما ورد في عهد عمر المشهور . أودفعهم الجزية كما يأمر به القرأن . فكان العمال النصاري يلبسون أثواباً كأثواب عظماء المسلمين ، ويجعلون لأنفسهم مقاماً عالياً أمام العامة، وكانت مغالاة النصاري وترفعهم علي هذه الصورة تسبب ارتفاع الأصوات بالاستنكار ، وتصل أحياناً إلى نهب أموالهم وقتل بعضهم][٣]

وهناك الكثير من الدلالات التاريخية علي هذا التسامح الإسلامي ، والذي اقترن بمنهج وسياسة المسلمين مع غيرهم دوماً ، ومن ذلك ما يذكره المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد إذ يقول : [إن بقاء الكنيسة المسيحية الوطنية بعد الفتح العربي أكثر من ثمانية قرون لشاهد علي روح التسامح التي استطاعت وحدها أن

[١] انتوني بلاك : الدين والسياسة ، الغرب والإسلام.. الدين والفكر السياسى فى التاريخ العالمى، ت د. فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة – الكويت– نوفمبر ٢٠١٢م ص٩١

[٢] تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٣.

[٣] السابق ، ص٥٧

تجعل مثل هذا البقاء أمراً ممكنا][١]

وعن بقاء الكنيسة القومية في إفريقيا الشمالية يقول أرنولد : [إن مجرد بقائها مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أي زعم بأن تحولهم إلي الإسلام قد قام علي القوة والإكراه ، حتي ولو لم يكن لدينا الدليل الكافي علي روح التسامح التي ظهر بها العرب الحاكمون في ممالك إفريقيا الشمالية علي اختلافها ، فهم الذين استخدموا جنودا مسيحيين ، ومنحوا المسيحيين من التجار والمستوطنين بمقتضي معاهدات متكررة الحرية في أداء شعائرهم الدينية وهم الذين فوض البابوات إليهم العناية بالأهلين من المسيحيين ، كما حضوا هؤلاء علي خدمة حكامهم المسلمين في إخلاص وولاء] [٢]

وعن البعد الحضاري لهذا التسامح يقول بارتولد: [كان القرن التاسع عهد رقي لحضارة [بوزنطة] أيضاً إلا أن بلاد الخلافة كانت متفوقة علي بوزنطة ، لأن العناصر المختلفة كانت تعمل فيها جنبا لجنب . وكانت ساحة انتشار الحضارة أوسع لضروب الحرية الدينية التي يمنحها القران] [٣]

---

[١] الدعوة إلي الاسلام ، ص١٤٤

[٢] السابق ، ص١٥٣

[٣] تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٥

دراسة مختصرة لنصوص القتال

هناك بعض النصوص – القرآنية والنبوية . التى تختص بقتال الأعداء أساء البعض فهمها ، وأضحى هذا الفهم الخاطئ لتلك النصوص أساساً لعدد من الشبهات التى تحاول إظهار الإسلام بأنه دين يميل إلى العنف ، ويحرض أتباعه على بدء الأعداء بالقتال والمبالغة فيه، من أجل نشر هذا الدين بالقوة، أو التوسع على حساب غيرهم.

وفيما يأتي تحديد هذه النصوص ، ودراسة مختصرة لها لبيان مقصودها، دفعاً لتلك الشبهات.

- **النصوص القــرآنية** .

١ . ما عرف بآية السيف ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥]

وهى – كما هو واضح تأمر بقتل المشركين حيث وجدوا، وبأسر من لم يقتل منهم، وبحصارهم وتضيق الخناق عليهم ولكن من هم المشركون المقصودون فى الآية؟ ومتى يقتلون؟ وبعبارة علمية: هل [الـ] فى قوله تعالى [فاقتلوا المشركين] للعهد، أو للجنس أو الاستغراق، الواضح أنها للعهد – كما يدل السياق أى المشركين المذكورين الموصوفين بما وصفوا به. إن الآيات التى قبل هذه الآية توضح ذلك حين تقول:﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ

عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١: ٤][١].

وبعدها قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة : ٦]

يقول الطبرى : [إن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله منك ، وهو القرآن.... فأمنه... ثم رده بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم... إلى حيث يأمن منك وممن فى طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين... من أجل أنهم قوم جهله لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله] [٢].

وذكر الطبرى مضمون ذلك عن طريق ابن وهب، وقال : "وليس هذا بمنسوخ " [٣]. وهذا دليل صريح على أن قتال هؤلاء المشركين ليس من أجل إجبارهم على اعتناق الإسلام.

وبالنسبة لتباين رأى العلماء فى كون هذه الآية ناسخة أو منسوخة ذكر الطبرى أن هناك من قال بأنها ناسخة وهناك من قال بأنها منسوخة كالاتى :

- الضحاك والسدى : قالا بأنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[محمد: ٤٧]
- قتادة : قال بأنها ناسخة للآية السابقة .

[١] د. يوسف القرضاوى : فقه الجهاد ، ج ١ ص ٣٠٣- ٣٠٤.

[٢] تفسير الطبرى : ج ١١ ص ٣٤٦-٣٤٧.

[٣] السابق : ج ١١ ص ٣٤٨.

ثم قال : [والصواب من القول عندى قول من قال: ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على ذلك أن معنى النسخ، هو نفى حُكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره، ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء، ولا على وجه المن عليهم. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله – ﷺ فيهم من أول حرب حاربهم . وذلك من يوم بدر. كان معلوماً أن معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم] [١].

٢. قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٣٦]

وقال الطبرى : [وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين مؤتلفين غير متفرقين، كما يقاتلكم المشركون جميعاً مُجتمعين غير متفرقين][٢].

وهذا من قبيل المعاملة بالمثل ، قال الشيخ القرضاوى: [وواضح من هذا التفسير لشيخ المفسرين: أنه اعتبر كلمة [كافة] حالاً من الفاعل، أى من واو الجماعة فى قوله تعالى:[وقاتلوا المشركين كافة كما ..... كافة][٣].

٣ . قوله تعالى : ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة : ٤١]

ذكر الطبرى عدة أقوال فى [خفافاً وثقالاً] وهى: شباباً وشيوخاً أغنياء وفقراء، نشاطاً وغير نشاط، ركبانا ومشاة، ذا ضيعة وغير ذى ضيعة[٤] وقال: يدخل

---

[١] تفسير الطبري : ج ١١ ص ٣٤٨ – ٣٤٩.

[٢] السابق: ج ١١ ، ص ٤٤٨ .

[٣] فقه الجهاد: ج ١ ص٣١٠-٣١١ .

[٤] تفسير الطبري : ج ١١ ص ٤٦٨ ، وما بعدها .

فى الخفاف كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنة على ذلك ، وصحة جسمة وشبابه ، ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال ... الخ، ويدخل فى الثقال كل من كان بخلاف وذلك.

لكن الطبرى يخص الآية بأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فيقول : [إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسول الله – ﷺ ـ بالنفر للجهاد فى سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله ﷺ على كل حال من أحوال الخفة والثقل][١].

وقد قال ابن عباس نسخها قوله تعالى: [وما كان المؤمنون لينفروا كافة][٢].

ويحتمل أنه أراد حين استنفرهم النبى ـ ﷺ ـ إلى غزوة تبوك، وكانت إجابته إلى ذلك واجبة عليهم، ولذلك هجر ـ ﷺ ـ كعب بن مالك وأصحابه الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم بعد ذلك، وكذلك يجب على من استنفره الإمام، لقول النبى ـ ﷺ ـ [وإذا استنفرتم فانفروا][٣].

وقد ذكر ابن حجر أن الأمر فى الآية مقيد بما قبلها، "كأن القرآن يقول: إذا قيل لكم: انفروا فى سبيل الله، فانفروا خفافاً وثقالاً، ولا تثاقلوا عن النفير، وإلا تنفروا يعذبكم ... ". [٤]

وقد رد ابن قدامة على من احتج بقوله: [انفروا خفافاً وثقالاً] على أن الجهاد فرض عين، بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ

---

[١] السابق ، ج ١١ ص ٤٧٤.

[٢] د. القرضاوى : فقه الجهاد ، ج١ ص ٨٩.

[٣] السابق ، ج ١ ص ٨٩ ، الحديث فى البخارى : الصحيح ، رقم ٢٧٨٣ ، كتاب الجهاد .

[٤] د. القرضاوى : السابق ، ص ٣١٣.

ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء : ٩٥]

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]

ولأن الرسول ـ ﷺ ـ كان يبعث السرايا، ويقيم هو وسائر أصحابه"[١].

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التوبة : ٢٩]

قال الطبرى نقلاً عن قدامى المفسرين إن هذه الآية نزلت "حين أُمر محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه بغزوة تبوك"[٢].

وغزوة تبوك تدل على أن الروم بدأوا المعركة مع الإسلام، حيث كانوا يعدون العدوة لغزوه فى عقر داره بالمدينة، فقام النبى ـ ﷺ ـ بغزوة تبوك قبل أن يأتوهم إلى المدينة، وهذا من قبيل الدفاع

ثم نزلت الآية الكريمة لتأكد على آلية الدفاع هذه فى محاربة هؤلاء المعتدين والدفاع عن الإسلام والمسلمين . ومع ذلك ، فلا يجوز أن تقرأ هذه الآية منفصله عن سائر الآيات الأخرى فى القرآن الكريم كما يقول الشيخ القرضاوى مثل قوله تعالى :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟

[١] د. القرضاوى : فقه الجهاد ، ص ٣١٤ .

[٢] تفسير الطبرى : ج ١١ ، ص ٤٠٧.

قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٩٠]

ولا ريب أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المشركين الوثنيين، وكذلك مثل قول النبى . ﷺ . [دعوا الحبشة ما ودعوكم][١].

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة :١٢٣]

يأتى تأويل المفسرين لهذه الآية على اعتبار أنها آلية وخطة حربية حال وجوب الجهاد وتعدد الأعداء، وليس باعتبار سبب للقتال.

قال القرطبى تأويلا لهذه الآية إن الله سبحانه [عرفهم كيفية الجهاد وأن الإبتداء بالأقرب فالأقرب من العدو، ولهذا بدأ رسول الله بالعرب، فلما فرغ قصد الروم، وكانوا بالشام][٢].

كذلك ذكر الشيخ محمود شلتوت أن الآية [ليست واردة مورد الآيات السابقة فى بيان سبب القتال وما يحمل عليه ، وإنما جاءت إرشاداً لخطة حربية عملية تترسم عند نشوب القتال المشروع فعلاً، فهى ترشد المسلمين إلى وجوب البدء عند تعدد الأعداء بقتال الأقرب فالأقرب ، عملاً على إخلاء الطريق من الأعداء المناوئين، وتسهيلاً لسبل الانتصار "[٣].

---

[١] فقه الجهاد : ج١ ، ص ٣١٥- ٣١٦ ، نص الحديث : [دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم] ، أخرجه النسائى فى السنن ، دار القلم . بيروت . بدون سنة الطبع ، باب غزوة الترك والحبشة ، وصححه الألبانى : صحيح سنن النسائى ، مكتبة المعارف . الرياط . ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ٢ ص٣٩٧ . ٣٩٩ ، رقم ٣١٧٦ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ج ١٠ ، ص ٤٣٤.

[٣] عن د. القرضاوى : فقه الجهاد ، ج ١ ، ص ٣١٨.

- **النصوص النبوية** .

النص الأول ، قوله ـ ﷺ ـ : [بعثت بين يدى الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم][1].

وهذا الحديث كما هو واضح من معناه يمثل بعداً جلل من أبعاد الإسلام، وهو منهج التعامل مع الآخر ، بل إن بعض العلماء قال إن [مثل هذا الأمر – يقصد الحديث ـ يعبر عن عنوان الإسلام واتجاهه : هل بُعث رسوله بالرحمة أو بعث بالسيف؟ هل بعث بالحجة أو بعث بالسيف ؟].[2]

والحديث من ناحية سنده ، جاء بعدة طرق منها ما ذكره الألبانى، وغيره، وفى السند أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوس، وهو عند الحافظ ابن حجر صدوق، صاحب حديث، يهم، والوليد بن مسلم، وهو ثقة محتج به فى الصحيحين ولكنه كان يدلس تدليس التسوية، فإنه كان محفوظاً عنه ، فيخشى أن يكون سواه.[3]

---

[1] أخرجه الإمام أحمد : المسند ، تحقيق د . عبدالله بن عبد المحسن التركى وآخرين ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ج٩ ص١٢٦ ، برقم ٥١١٥ ، وفى رقم ٥١١٤ بدون [بين يدى الساعة]. وعلق البخاري بعض هذا الحديث قال: [باب ما قيل في الرماح .. ويذكر عن ابن عمر، عن النبي ﷺ " جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلُّ والصغار على من خالف أمرى " " الصحيح : ٦ /٧٢ " أى بصيغة التضعيف " ويذكر عن ابن عمر " ، د. القرضاوى : فقه الجهاد ، جزء ١، ص ٣٨٨

[2] د . القرضاوى : السابق ، ج١ ص٣٤٠

[3] السابق ، ج١ ص٣٣٩ .

وطريق ابن ثوبان ، الذى ذكره البخارى، وقد تكلم العلماء فى ابن ثوبان ، كما يأتي :

ـ ابن ثوبان بين الجرح والتعديل .

ترجم له البخارى ، ذاكراً نسبه، ومن سمع لهم ومن سمع منه فقط[١]، كذلك ترجم له ابن حاتم الرازى ، وذكر اختلاف أهل الجرح والتعديل فيه، فقال يحيي بن معين ، صالح الحديث، وقال أبو عبد الله – ابن حنبل ـ أحاديثه مناكير. أما أبو حاتم الرازى فقال عنه : ثقة ، وقال عنه أبو زرعه : لا بأس به[٢].

أما الذهبى فأورد فيه أقوال علماء الحديث كالآتى :

وثقة دُحيم، وأبو حاتم. وقال صالح جَزَرَة : قدرى صدوق.

وقال النسائى وغيره: ليس بالقوى.

وقال يحيى بن معين: ليس به بأس، ولينَّ مرة.

وقد قال النسائى ليس بثقة.

وقال أحمد بن حنبل : أحاديثه منا كير.

وقال ابن عدى: يكتب حديثه على ضعفه .

وقال أبو داود: كان فيه سلامة ، وكان مجاب الدعوة .

قال الوليد بن مَزْيَد: لما كانت السنة التى تناثرت النجوم ، خرجنا ليلاً إلى الصحراء مع الأوزاعى ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، قال: فسل عبد الرحمن سيفه ، وقال: إن الله قد جد فجدوا ، قال: فجعلوا يسبونه ويؤذونه ، فقال الأوزاعى

---

[١] وذلك فى التاريخ الكبير ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦ بدون بيانات أخرى للكتاب ، رقم الترجمة ٨٥٦ ، قسم أول ج ٣ .

[٢] أبو حاتم الرازى : كتاب الجرح والتعديل ، حيدر أباد الدكن– الهند– ط أولى ، بدون تاريخ للطبع ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ٢١٩ ، ترجمة رقم ١٠٣١.

: عبد الرحمن قد رفع عنه القلم – يعنى جن .

قلت: كان فيه خارجيّة ... عاش تسعين سنة، مات فى سنة [١٦٥ هـ/ ٧٨٢ م] وقد تتبع الطبرانى أحاديثه ، فجاءت فى كُرّاسى تام، ولم يكن بالمكثر، ولا هو بالحجة، بل صالح الحديث .[١]

كذلك نقل المزى أقوال علماء الجرح والتعديل فيه، عند ترجمته له، فعن أحمد بن حنبل قال: لم يكن بالقوى فى الحديث، وعن يحيى بن معين: صالح ، وفى موضع آخر ضعيف ، وعنه : ليس به بأس وكذلك قال على بن المدينى وأحمد بن عبد الله العجلى وأبو زرعه الرازى.

وعن يحيى بن معين قال : لا شئ ، وقال أبو حاتم : ثقة ، وقال فى موضع آخر: يشوبه شئ من القدر وتغير عقله فى آخر حياته ، وهو مستقيم الحديث . وقال النسائى : ضعيف ، وقال فى موضع آخر: ليس بالقوى ، وقال فى موضع آخر: ليس بثقة ، وقال صالح بن محمد البغدادى : شامى صدوق إلا أن مذهبه مذهب القدر، وأنكروا عليه أحاديث يرونها عن أبيه عن مكحول مسندة ، وقال ابن خراشى فى حديثه لين ، وقال أبو أحمد بن عدى : له أحاديث صالحة ، ورُوى : يكتب حديثه على ضعفه[٢].

وقال ابن حجر فى ترجمته ، صدوق يخطئ ورمى بالقدر وتغير بآخرة من السابعة. مات سنة [١٦٥هـ/ ٧٨٢ م] ، وهو ابن تسعين سنة[٣].

---

[١] الذهبى : سير أعلام النبلاء، ت على أبو زيد ، مؤسسة الرسالة ط ١١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ج ٧ ، ص ٣١٣- ٣١٤.

[٢] المزى : تهذيب الكمال ، ت عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية- بيروت- ط أولى ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥م ، ج ٦ ص ٩٢-٩٥ ، ترجمة رقم ٣٨٠٢.

[٣] تقريب التهذيب ، دار الفكر- بيروت- ط أولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ج ١ ص ٣٣٢.

ومن العلماء المحدثين الذين خرجوا الحديث شعيب الأرناؤوط، حيث خرجه مرتين، الأولى مع عبد القادر الأرناؤوط فى تخريج أحاديث [زاد المعاد] ، وذكر فيه تحسين أحمد له فى المسند، وقال جود ابن تيمية إسناده فى الاقتصاد. والثانية مع خمسة آخرين من العلماء أثناء تخريج [مسند أحمد] فهو عمل جماعى له قيمته كما يقول أحد العلماء المعاصرين ، وفيه يقول : إسناده ضعيف على نكارة فى بعض ألفاظه، ابن ثوبان اختلف فيه أقوال المجرَّحين والمعدلين، فمنهم من قوى أمره ومنهم من ضعفه وقد تغير بآخره ..... الخ.[١]

قال الشيخ القرضاوى: ومثل هذا الراوى – ابن ثوبان لا يؤخذ منه حديث يحمل هذا المضمون الخطير: الإسلام دين السيف وأن الرسول يرتزق من رمحه . [٢]

وبعد أن عرض لطرق الحديث قال : وبهذا يتبين لنا أن الحديث لم يأت من طريق واحدة صحيحة متصلة سالمة من النقد، وإنما صححه من صححه بطرقه، وكلها لا تسلم من مقال ، ولم تكثر إلى درجة يقال: يقوى بعضها بعضاً . [٣]

كما قال عن متن الحديث إنه منكر لا يتفق مع ما قرره القرآن بخصوص ما بعث به محمد، وذكر عدداً من الآيات الدالة على الهدى ودين الحق والرحمة والشفاء والموعظة للناس والتبشير والإنذار والبيان..... الخ.[٤]

الحق أن الإسلام أعطى مشركى الجزيرة – كما يقول الشيخ الغزالى . حق

---

[١] د. يوسف القرضاوي : فقه الجهاد ، ج ١ ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

[٢] السابق ، ج١ ص ٣٤٤.

[٣] السابق ، ج١ ص ٣٤٠ .

[٤] السابق ، ج١ ص ٣٤٥ .

البقاء على الوثنية ما طابت بها نفوسهم، على أن يتركوا الحرية لمن هجرها إلى الإيمان بالله وحده فلا يفتنوه أو يضهدوه، وظهر ذلك جليا أول الإسلام من قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[الكافرون: ١ – ٦].

وبيد أن هؤلاء المشركين الحمقى ركبوا رؤوسهم وسيطرت عليهم فكرة القضاء على الدين الجديد واستئصال شأفته والمغامرة بكل شئ فى سبيل محوه ومحق أتباعه فإما طاحوا به، وإما طاح بهم ، وشاء القدر الأخير فإن الرسول وصحابته ظلوا عشرين عاماً يسمحون للمشركين بالبقاء على دينهم، راجين منهم أن يتركوهم وشأنهم ثم اتضحت نوايا المشركين الخبيثة ، قال تعالى : ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ ﴾[الممتحنة : ٢]

وقال تعالي : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ﴾ [التوبة: ٨].

فلم يبق بعد أن اختاروا لأنفسهم أن يبدوا المسلمين أو يبادوا إلا أن يتخلص الإسلام من شرهم، وأن يضعهم بين أمرين لا ثالث لهما، وإذا صحت تسمية هذا المسلك عقوبة، فإن حكمته مفهومة وتضيق الحرية على المجرم وقاية للمجتمع من آثامه أمر جائز[١].

– النص الثانى : قوله . ﷺ . : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم عند الله] [٢] وقوله

[١] الشيخ الغزالي : فقه السيرة ، دار الشروق – القاهرة – ٢٠٠٠م ، ص ١٠٩– ١١١.

[٢] البخاري : الصحيح ، رقم ٢٥ .

. ﷺ . : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله] [١].

والمراد بالناس هنا هم مشركوا العرب ، وقد أجمع على ذلك العلماء[٢]، وقد دلل ابن حجر على أن المقصود مشركوا العرب برواية النسائي [أمرت أن أقاتل المشركين] ، وقال إن هذا من قبيل استعمال العام في الخاص[٣].

قال ابن تيمية تعليقاً عن الحديث الأول : والمعنى أنى لم أؤمر بالقتال إلا إلى هذه الغاية. ليس المراد: أنى أمرت أن قاتل كل أحد إلى هذه الغاية! فإن هذا خلاف النص والإجماع فإنه لم يفعل هذا قط بل كانت سيرته: أن من سالمه لم يقاتله] [٤] انتهى.

معنى كلام شيخ الإسلام هنا فى غاية القوة والبيان: أنه مأمور أن يقاتل من يستحق القتال لحربه وعدوانه على المسلمين، إلى هذه الغاية، وهى: الدخول في الإسلام، بالنطق بالشهادتين . فليس في الحديث دلالة على أنه مأمور بقتال كل الناس حتى يسلموا ، بل هو مأمور بقتال الذين يقاتلون إلى هذه الغاية.[٥]

---

[١] البخاري : الصحيح ، رقم ٣٩٢ .

[٢] الغزالي : فقه السيرة ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

[٣] فتح الباري ، تحقيق أبي قتيبة – محمد الفاريابي ، دار طيبة ، بدون تاريخ نشر ، ج١ ص ١٤٥ –١٤٦، وحديث أمرتوا أن أقاتل المشركين في النسائي : السنن ، رقم ٣٩٦٦ ، كتاب تحريم الدم ، وأبوا داود : السنن ، رقم ٢٦٤٢ ، كتاب الجهاد .

[٤] عن د. القرضاوي : فقه الجهاد ، ج١ ص ٣٥٥.

[٥] د. القرضاوي : السابق ، ج ١ ص ٣٥٦.

الخاتمـــة

تبين من خلال هذه الدراسة أن العلاقات الدولية في الإسلام في ناحية السلام والصدام ، تتمحور حول :

- السلام : وهو القاعدة العامة في تلك العلاقات ، والتي أرسى الإسلام مبادئه وقواعده ، وغلب على تصنيف فقهائه للعالم بالنسبة للمسلمين – جغرافيا – سلماً وحرباً.

أما مبادئ السلام في الإسلام فكان أهمها :

- الاختلاف والتنوع ، جنسيا ولغويا ودينياً... الخ
- الرحمة والتسامح .
- تكريم الإنسان عموماً .
- كون السلام صفة للمؤمن .

أما قاعدة السلام في الإسلام فبينها النص القرآني في سورة المجادلة في قوله تعالى:

[لا ينهاكم الله عن ...] فضلاً عن نصوص كثيرة فصلت وقننت هذا الأمر.

وجاءت الدلالات التاريخية منذ عهد النبي ﷺ . لتجسد هذه القاعدة واقعياً كأساس للعلاقات الدولية الإسلامية – والمحلية أيضاً .

أما التقسيم الفقهي للعالم – جغرافيا – سلماً وحرباً في إطار العلاقات الدولية مع المسلمين ، فقد وضع له الفقهاء المتقدمون شروطا وضوابط ، وعدل المحدثون منهم بعضها لعدم ملائمتها لتطور الزمان ، كما أنهم اعتبروا العالم دار صلح أو عهد بالنسبة للمسلمين لدخول الجميع في اتفاقيات ومعاهدات تشملهم ورضوا بها ووقعوا عليها ، وهيئات ومنظمات دولية تجمعهم أيضاً انضموا إليها

باختيارهم ووقعوا على مواثيقها ، فأصبحت من العهود التي أمروا بالوفاء بها ، باستثناء ما أحل حراما أو حرم حلالاً. أما ما لا يدخل في عالم الصلح أو العهد مع المسلمين ، فهو من اعتدى عليهم وجار على حقهم ، مثل الكيان الصهيوني الذي يحتل أرضاً من المسلمين ، ويمارس العدوان على أهلها .

كذلك تبين من الدراسة أن [جهاد الطلب] كما اصطلح عليها الفقهاء ، ينبغي أن يحل محله جهاد تعريف العالم بالإسلام ودعوته إليه بالوسائل الحديثة التي يقوم بها الإنسان وهو في بيته وتصل إلى أي بيت في العالم ـ تقريباً ـ دون أن تستطيع الوسائل القديمة من سلطات حاكمة وجيوش منعها كما كانت تفعل من قبل .

ـ الصدام : ويمثل استثناء لقاعدة السلام في الإسلام ، ومع كونه استثناء فلم يقره الإسلام إلا كضرورات يضطر إليها المسلمون مثل :

- الدفاع عن النفس ورد العدوان .
- الدعوة إلى الإسلام ، ومنح حرية العقيدة .
- تحرير الشعوب المستضعفة وإقامة العدل .

ففي المثال الأول ، تعرض المسلمون للاعتداء الدائم منذ بداية ظهور الإسلام – ومازالوا إلى الآن . فكان القتل والتعذيب والتهجير في البداية ، ثم المحاربة والمحاولات المتكررة لمحو هذا الدين وإبادة أتباعه من قبل المتحالفين في شبة جزيرة العرب مشركين ويهود ومسيحيين ، ثم كانت الحروب الصليبية ، ثم جاء تطويق العالم الإسلامي ومحاربته تجاريا ، في العصور الوسطي ، ثم الاستعمار الحديث بكل جرائمه التاريخية من قبل السلطات الحاكمة وجيوشها .

وفي المثال الثاني ، لاقي المسلمون كل أنواع الصلف والصدود، بل والحرب لمنعهم من تبليغ دعوتهم للشعوب ، فاضطر المسلمون للصدام مع تلك السلطات

وجيوشها لامع الشعوب ، لإعطاء تلك الشعوب حقها في حرية العقيدة ، وتعريفهم بالإسلام .

أما المثال الثالث ، فمن المعروف تاريخياً أن العالم قبل الإسلام كان – في معظمه – يخضع للاحتلال اليوناني الروماني الفارسي ، وكانت تلك الشعوب المستضعفة تئن تحت وطأة المحتل سواء كان يونانياً أو رومانيا أو فارسياً ، مما لاقته طوال مئات السنيين من قتل وتنكيل ، ونهب لثرواتها وتشويه لحضارتها وطمس لهويتها . ومن ثم فعندما علمت تلك الشعوب بظهور هذا الدين الجديد وما حمله من مبادئ العدالة الإنسانية والحريات العامة والتسامح والرحمة ونصرة المستضعفين من الناس وتطبيق أتباعه لذلك ، عملت الكثير من تلك الشعوب على أن تنال حقوقها وتنعم بحريتها من خلال تحرير أتباع هذا الدين الجديد لها حيث جاءت الاستغاثات إلى المسلمين فلبوا وحرروا ومنحوا الحريات وبسطوا العدل ، وشهد بذلك أعدائهم .

المصـــــادر والمراجـــع

أولا- المصادر :

- **القرآن الكريم.**

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ت [١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م]

١- روح المعانى، دار إحياء التراث العربى- بيروت - بدون سنة الطبع.

البخارى، محمد بن إسماعيل ت [٢٥٦هـ/ ٨٧٠م]

٢- التاريخ الكبير، ط ١٤٠٧/ ١٩٨٦، بدون بيانات أخرى.

٣- صحيح البخارى، مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

البلاذرى، أحمد بن يحيى ت [٢٧٩هـ/ ٨٩٢م]

٤- فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

التلمحرى ، ديونسيوس

٥- تاريخ الأزمان ، ت شادية توفيق حافظ ، المركز القومى للترجمة - القاهرة - رقم ١٢٧٧ ، ط أولى ، ٢٠٠٨م.

جيبون ، إدوارد

٦- إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ت د. محمد سليم سالم ، الألف كتاب [الثانى]- ٢٦٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧.

ابن حجر، شهاب الدين العسقلانى ت [٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م]

٧- تقريب التهذيب، دار الفكر. بيروت ـ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٨- فتح البارى شرح صحيح البخارى، تحقيق أبى قتيبة محمد الفاريابى، دار طيبة، بدون بيانات أخرى.

ابن حنبل، أحمد [الأمام] [٢٤١هـ/ ٨٥٥م]

٩- المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

الذهبى، شمس الدين محمد بن عثمان، [٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م]

١٠- سير أعلام النبلاء ، على أبو زيد، مؤسسة الرسالة- بيروت - ، ط ١١، [١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م] .

الرازى، محمد فخر الدين بن ضياء ت [٦٠٤هـ/١٢٠٧م]

١١- مفاتيح الغيب، دار الفكر . بيروت . ط أولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الرازى ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم ، ت [٣٢٧هـ/ ٩٣٩م]

١٢- كتاب الجرح والتعديل ، حيدر أباد الدكن . الهند . ط أولى ، بدون تاريخ الطبع.

الطبرى ، محمد بن جرير ت [٣١٠هـ/ ٩٢٣م]

١٣- تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف - مصر ١٩٧٧- ١٩٧٩م.

١٤- تفسير الطبرى، دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ابن العبرى، أبو الفرج بن هارون المطلى .

١٥- تاريخ الزمان ، دار المشرق . بيروت . ١٩٩١ م .

القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد ت [٦٧١هـ/ ١٢٢٣م]

١٦- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة الرسالة . بيروت . ط أولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت[٧٧٤م/١٣٧٢م]

١٧- البداية والنهاية ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، دار الغد العربى – القاهرة – ١٩٩٢م

١٨- تفسير القرآن العظيم ، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين ، مؤسسة قرطبة . القاهرة . ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م .

المزى ، أبو الحجاج جمال الدين يوسف عبد الرحمن [٧٤٢هـ/ ١٣٤١م]

١٩- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية . بيروت – ط أولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد ت [٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م]

٢٠- تجارب الأمم ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج ت [٢٦١هـ/ ٨٧٥م]

٢١- صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العلمية- القاهرة- بدون تاريخ الطبع.

مونتسيكو

٢٢- روح الشرائع ، ت عادل زعتير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر-٢٠١٠م.

النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت [٣٠٣ هـ / ٩١٥ م]

٢٣- السنن ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وبحاشيته الإمام السندى ، دار القلم . بيروت . بدون سنة الطبع .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ت [٢١٣هـ/ ٨٢٨م]

٢٤- السيرة النبوية، مكتبة الإيمان . المنصورة . ط أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

اليعقوبى ، أحمد بن يعقوب [٢٨٢هـ/ ٨٩٥م]

٢٥- تاريخ اليعقوبى ، دار صادر - بيروت- بدون سنة الطبع.

يوسابيوس القيصرى

٢٦- تاريخ الكنيسة ، ت القمص مرقص داود - مكتبة القاهرة - ١٩٩٨.

ثانياً: المراجـــع :

أبو زهرة، محمد [الشيخ]

٢٧- العلاقات الدولية فى الإسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة- ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

أرنولد ، توماس.

٢٨- الدعوة إلى الإسلام، ت حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٧٠.

الألبانى، محمد ناصر الدين [الشيخ]

٢٩- السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف - الرياض - بدون تاريخ الطبع.

٣٠- صحيح سنن النسائى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع . الرياض . ١٤١٩ هـ /١٩٩٨

بارتولد ، فاسيلى

٣١- تاريخ الحضارة الإسلامية، ت حمزة طاهر، دار المعارف - مصر- ط ٥، ١٩٨٣.

إديث لويس بتشر

٣٢- تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، ت إسكندر تادرس ، مطبعة مصر بالفجالة - مصر- ١٩٠٠.

البراوى ، راشد

٣٣- الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية.

بلاك، أنتونى

٣٤- الغرب والإسلام.. الدين والفكر السياسى فى التاريخ العالمى، ت د. فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة - الكويت- نوفمبر ٢٠١٢م.

تشارلزورت . م . ب

٣٥- الإمبراطورية الرومانية ، ت رمزى عبده جرجس ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٩م.

تودوروف ، تزفيتان

٣٦- فتح أمريكا.. مسألة الآخر، ت بشير السباعى ، سينا للنشر - مصر- ١٩٩٢م.

توينبى، أرنولد

٣٧- الحضارة فى الميزان ، ت أمين محمود الشريف، عيسى البابى الحلبى - القاهرة - بدون تاريخ الطبع.

٣٨- العالم والغرب ، ت روفائيل جرجس ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٥٢.

حمدان ، جمال [دكتور]

٣٩- إستراتيجية الاستعمار والتحرير ،

٤٠- أفريقيا الجديدة ، مكتبة مدبولى [طبعة خاصة لمكتبة الأسرة] . القاهرة . ٢٠٠٥م

رنسيمان ، ستيفن

٤١- تاريخ الحروب الصليبية ، ت السيد الباز العرينى ، دار الثقافة - بيروت - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٢- الحضارة البيزنطية ، ت عبد العزيز توفيق جاويد . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ٢٠٠٢ م .

زقزوق ، محمود حمدى [دكتور]

٤٣- الاستشراق .. والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، دار المنار- القاهرة- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

شاتلية . أ . ل

٤٤- الغارة على العالم الإسلامى ، ت محب الدين الخطيب ومساعدالباقى ، المطبعة السلفية . مصر . ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

عاشور، سعيد عبد الفتاح [دكتور]

٤٥- أوربا العصور الوسطى ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م.

٤٦- الحركة الصليبية ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م.

عطية ، عزيز سوريال [دكتور]

٤٧- تاريخ المسيحية الشرقية ، ت إسحق عبيد ، المجلس الأعلى للثقافة – مصر- ٢٠٠٥م.

على ، محمد كرد

٤٨- الإسلام والحضارة الغربية ،

عمارة ، محمد [دكتور]

٤٩- الإسلام فى عيون غربية ، دار الشروق . القاهرة . ط٢ ، ١٤٢٧هـ /، ٢٠٠٦م،

٥٠- الغرب والإسلام ، دار نهضة مصر. القاهرة . ٢٠٠٥.

الغزالى ، محمد [الشيخ]

٥١- الإسلام والاستبداد السياسى ، دار الكتب الاسلامية – القاهرة – ط ٣ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٢- فقه السيرة ، دار الشروق – القاهرة – ٢٠٠٠م.

فيج . جى . دى

٥٣- تاريخ غرب أفريقيا ، السيد يوسف نصر، دار المعارف – مصر- ١٩٨٢م.

فيشر ، هـ. أ. ل

٥٤- تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، ت أحمد نجيب هاشم وآخر ، دار المعارف – مصر- ١٩٨٤م.

القرضاوى ، يوسف [دكتور]

٥٥- فقه الجهاد ، مكتبة وهبة- القاهرة – ط ٣ ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

كانتور ، نورمان ف

٥٦- التاريخ الوسيط .. قصة حضارة البداية والنهاية ، ت د. قاسم عبده قاسم ، دار المعارف – مصر – ١٩٨١م.

لوبون ، جوستان

٥٧- اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ت عادل زعيتر ، دار العالم العربى – القاهرة – ٢٠٠٩م.

لويس ، برنارد

٥٨- الإسلام وأزمة العصر ، ت أحمد هيكل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٤م

لغة السياسة فى الإسلام ، ت د . إبراهيم شتا ، دار قرطبة ، ط أولى ١٩٩٣م.

٥٩- اكتشاف المسلمين لأوربا ، ت د. ماهر عبد القاهرة ، المكتبة الأكاديمية- القاهرة- ط أولى ، ١٩٩٦م.

ليلى عبد الجواد [دكتورة]

٦٠- الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، دار النهضة العربية - مصر- ١٩٨٥م.

مجموعة من المستشرقين

٦١- تراث الإسلام ، ت د. محمد زهير السمهورى وآخرين ، سلسلة عالم المعرفة ، صفر ١٤١٩هـ/ مايو يونيه ١٩٩٨م.

المقارى ، أثناسيوس

٦٢- الكنائس الشرقية وأوطانها ، [ج ٢ ، كنسية مصر] دار نوبار – مصر- ٢٠٠٧م.

النجار ، زغلول [دكتور]

٦٣- الإسلام والغرب.. فى كتابات الغربيين ، نهضة مصر- القاهرة- ط ٤ ٢٠٠٥م.

نعيم ، خالد محمد [دكتور]

٦٤- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر ، دراسة وثائقية - كتاب المختار الإسلامى - القاهرة - بدون تاريخ.

هنتنجتون ، صموئيل

٦٥- صدام الحضارات ، ت طلعت الشايب ، سطور ط٢ ١٩٩٩ م .

وايدنر ، دونالد ل

٦٦- تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ، ت على أحمد فخرى وآخر ، مؤسسة سجل العرب – مصر- ١٩٧٦م.

كى لسترونج

٦٧- بلدان الخلافة الشرقية ، ت بشير فرانسيس وكوركيس عواد ، موسسة الرسالة – بيروت – ط ٢ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

جرونيباوم ، جوستاف إ . فون

٦٨- حضارة الإسلام ، ت عبد العزيز توفيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧.

يوحنا ، منسى [قمص]

٦٩- تاريخ الكنيسة القبطية ، مكتبة المحبة - القاهر- ١٩٨٣م.

ثالثاً: الدوريـــات :

٧٠- مجلة الأزهر - القاهرة - عدد جمادى الآخرة ، ١٤٢٧ هـ.

٧١- مجلة الثقافة العالمية - الكويت - عدد ١٠٣ نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٠م.

٧٢- مجلة القاهرة - القاهرة - عدد ١٢٣ ، فبراير ١٩٩٣.

٧٣- مجلة المسلم المعاصر ، العددان ٧٣ . ٧٤ ، السنة ١٩.

٧٤- مجلة المهندسين [ملحق خاص بكشمير] عدد ٤٣٨ ، صفر ١٤١٣ هـ - أغسطس ١٩٩٢

المراجع الأجنبية:

Emran Q ureshi and Michael A. sells,

75- The New Crusades .. Constructing the muslim Enemy, Columbia university Rress, New York, 2003.wikipedia . org 2013

Michael paine.

76- The Rusades, Mike paine, U.S.A, 2005.

Richard A. Gabriel.

77- Muhammad, university Oklahoma press, Norman, U.S.A 2007

Russell Thormton.

78- American Indian Holocaust and surwivel, university of Oklahoma press, Norman and London, 1987.